كتاب
السيرة الخليلية

يشتمل على سيرة مولانا الغوث الاكبر

سيدى الشيخ محمد ابى خليل

وبيان وجوب الدعوة الى الله تعالى

واصول طريق السادة الصوفية وآدابهم واخلاقهم

عمل

عبد السلام الحلوانى

احد اتباع صاحب السيرة رضى الله عنه ومجل الاستاذ

العارف بالله (الشيخ أحمد الحلوانى الخليمى) غفر الله لهم

كتاب
السيرة الخليلية
يشتمل على سيرة مولانا الغوث الأكبر
سيدى الشيخ محمد أبى خليل
وبيان وجوب الدعوة إلى الله تعالى
وأصول طريق السادة الصوفية وآدابهم وأخلاقهم
عمل
عبد السلام الحلوانى

أحد اتباع صاحب السيرة رضي الله عنه ونجل الأستاذ

العارف بالله (الشيخ أحمد الحلواني الخليجي) غفر الله لهم

بسم الله الرحمن الر حيم

يامالك الحمد هب لى من لدنك علما يسع به إدراكى كيف يكون حمدك وشكرك .
فأحمدك وأثنى عليك كما ينبغى لجلال عظمتك إنك أنت القوى القادر العظيم وهب لى هداية من واسع رحمتك التى وسعت كل شيئ لأستهديك بما يقبل لديك فتجيب طلبتى وتهب لى بغيتى فأعرف منك مايقربنى إليك فلا أضل عن هداك . سبحانك لا إله غيرك ولا معبود سواك .
أشهد أنك أنت الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبدك ورسولك الذى أظهرته فى آخر الأمر لأهل الباطن والظاهر بعد ما اخترته فى الأول أن يكون هو الباطن والظاهر . نورك الذى لايطفأ وصفيك الوفى الأوفى فهو الشجرة التى أخذنها من كنز خفائك . فعرفتك بك لك من غير سبب ولا عجب . فظهرت محدثة وجودا فى عالم وجود لا شرقية ولا غربية . تضئ مما أودع فيها سر الإيجاد ومن أثر ذلك المؤثر (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيئ قدير) فهو ذلك المصباح الذى يضئ فى حجاب كالزجاجة لاتحجب الضوء وإنما تحفظه بعناية خاصة به ليظهر مع امتناع الوصول إليه . فتكون كالكوكب الدرى فى مشكاة القدرة البارزة منفردة عن قدمية محدثها . جل من خلق ودبر . وأظهر فأبدع الظهور وانفرد فاحتجب وامتنع عن الظهور فظهر ولم يغب . وأحكم الظهور فاحتجب ولم يدرك . فهو الأول والأخر. والظاهر والباطن . وهو على كل شيئ قدير .
أسألك أن ترسل تحف طرائف شرائف صلواتك العظيمة وتحياتك الزكية النقية التى لا تتناهى دائماً أبداً . إلى عظيم ذلك الجانب المقرب الذى اصطفيته لحضرتك سيدنا محمد النبى الأمى والرسول الصفى الوفى صلاة تليق بمقامك لمقامه كما تحب وترضى

عدد مافى علمك دائمة بدوامه وعلى أله وصحبه وشيخنا وأله وأتباعه والمسلمين آمين .

وبعد فهذا موجز فى سيرة سيدنا الأستاذ سلطان الذاكرين وتاج العارفين القدوة الكامل والقطب العامل الشيخ الجليل سيدى الحاج محمد أبى خليل رضى الله عنه وأرضاه جمع فيه شذرة من تاريخ حياته وبعض أعماله وأعمال من تبعه وأذكاره وطريقته . من تصفحه وقرأه علم منه وجوب الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وما هى أحوال السادة الصوفية . وآداب الطريق والذكر وكيفية العمل لله سبحانه وتعالى على الوجه المرضى وهو يشتمل على (مقدمة) فى بيان دعوة الرسل .

وظهور السادة الصوفية . والأصل فى أخذ العهود . وعلى ثلاثة أبواب (الباب الأول) فى سيرة سيدنا الأستاذ وأعماله ودعوته (والباب الثانى) فى الذكر وفضله وأوراد الطريق (والباب الثالث) فى بيان انتشار الطريق فى حياته وبعد انتقاله . ونسأل الله أن يحسن خاتمتنا وأن يجعلنا من العاملين على المنهج القويم .

مقدمة

قال الله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) سبحانه غنى عن الخلق وعن العبادة وعن أعمال المحدثات قادر خلاق . يحدث مايشاء . خلق الخلق وأحدث البرية إظهاراً لقدرته وإرادته . فعرفوه بأحداثه لهم وبقدرته عليهم فعبدوه بما فطرهم عليه . ودانوا له بالربوبية . فلا علة فى الخلق ولا فى العبادة . وهو القادر على كل شيئ يخلق مايشاء وله الإرادة والقدرة والعظمة والجلال .

وقد نقل بعض الرواه فى حديث قدسى عن الله سبحانه وتعالى (كنت كنزاً مخفياً فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى) فان صح فمعناه كنت المنفرد ولازلت أنا الواحد الأحد القادر المقتدر على كل شيئ صاحب الإراده التى قضت بإظهار خلقى كما هو شأنى فأحدثت خلقا بأمرى وأودعت فيه سراً من علمى يميز به كيف خلقته ولأى شئ أبرز إلى الوجود فعرفنى بما وهبته من التمييز فعبدنى وبسرى عرفنى . سبحانه أنه على كل شئ قدير .

أبرز قبل كل شئ نور الحقيقة المحمدية ثم خلق منه الخلائق كلها علوية وسفلية فالكل مستمد من نوره صلى الله عليه وسلم ثم خلق آدم من طين وسواه وأدرج فيه الروح المحمدية وأخذ عليه العهد والميثاق بإعتقاد الربوبية دينا وألزمه كلمة التقوى واستخرج من ظهره ذريته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فكان صلى الله عليه وسلم أول من قال بلى يقينا وقد أخذ الميثاق على النبيين لينصروا النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوته بتوحيد الله تعالى وبالإقرار له بالربوبية كما ثبت فى قوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أءقررتم وأخذتم على ذلك

إصرى (أى عهدى) قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام) .

سبحانه وتعالى أخذ العهد على آدم بتوحيده وعبادته وبالإقرار له بالربوبية وعلى ذريته وعلى رسله بذلك وأصبح هذا العهد أمانة عندهم يقومون بالوفاء به ولاينقضونه .

نزول آدم إلى الأرض وأخذه العهد على أولاده :

ولما أراد سبحانه وتعالى إنفاذ أمره أبرز آدم إلى الوجود فى جنة قربه فكان بفطرته يؤدى أمانة ربه فيوحده مع الملائكة وأهل السموات حتى أكل من الشجرة بعد النهى عنها وهبط إلى الأرض قال تعالى (فتلقى أدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) وأقام على توحيده تعالى يسبحه ويذكره ويشكره والله سبحانه وتعالى يغدق النعم عليه ويريه بديع صنعه ويرزقه الذرية الكثيرة ويبارك فيه وفى ذريته ويرزقهم من ثمرات الأرض ، وجعل لهم فيها جنات وأنهارا وأكثرهم . ومن هنا ترى أن الله تعالى أخرج آدم من الجنة فرداً وأسكنه الأرض ورزقه التوبة . فرجع إلى الله تعالى خاضعاً ذليلا ليكثر الله من ذريته ويزيدها إكثارا لتعود إلى الجنة أمماً بدل أن كان فيها فردا ويضاعف له أجره وتكون الجنة له ولأولاده الصالحين .

سبحان من إذا لطف بعبده قلب المحن منحاً

فلما ظهرت ذريته بلغهم أمانة الله فأمرهم بتوحيده وأخذ عليهم العهد والميثاق بالقيام بآدائها قال تعالى (ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف

الخبير) وأمرهم بتبليغ ذلك لمن بعدهم ليكون قد أدى الأمانة كما أمر واستمرار هذه الوصية جارية فى ذريته جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن .

بعثة الرسل ودعوتهم

فلما طال عليهم الأمد نقضوا عهد الله من بعد ميثاقه ونسوا الله فأنساهم أنفسهم لكن الله سبحانه وتعالى كان يذكرهم على السنة الرسل بعهد الله ليكون حجة عليهم فمن أنكره كان معاندا ناقضا له وكان جزاؤه جهنم وبئس المصير قال تعالى (ألم أعهد إليكم يا بنى أدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ، وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم) ومن عرفه وعاد إليه سلك مع الأرواح الطاهرة الطيبة وامتد له النور الأصلى نور النبى صلى الله عليه وسلم فيزول عنه حجاب الضلال ويضئ له نور الهدى فيقيم على عهد الله وكان جزاؤه الجنة ، ونعم أجر العاملين .

وكان الأنبياء والمرسلون يأتون فى الأوقات المناسبة لظهورهم عند تناسى هذا العهد ورضاء الناس بالحياة الدنيا والاطمئنان إليها وغواية الشيطان لهم وضلالهم عن معرفة الله فكانوا يؤدون الرسالة ويأمرون قومهم بعبادة الله كما أمروا قال تعالى (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلاً فضلنا على العالمين * ومن أبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم * ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون * أولئك الذين أتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر

بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين * أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) .
وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)
وقال تعالى (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره)
وقال تعالى (وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم أعبدوا الله مالكم من إله غيره)
وقال تعالى (وإلى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره)
وقال تعالى (ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولا بين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون * إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)
وقال تعالى (ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به ان أعبدوا الله ربى وربكم)
فكانت دعوة الرسالة لها سطوة تفزع القلوب لأن الله أيدهم بروح منه وقوة تسوق القلوب وتوقظها من الغفلة فتنقاد مقهورة طائعة بإذن الله قال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله)

ظهور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

فلما ظهر نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين . وإمام المرسلين . وحبيب رب العالمين وقائد المتقين إلى طريق الخير . (صلى الله عليه وسلم) أدى الأمانة ونصح العباد

وأمرهم بطاعة الله تعالى وتوحيده وظهرت له الآيات والمعجزات وسطع نور الإسلام . وأشرقت له القلوب . وإبتهجت الأرواح . ومع ذلك فقد جاهد فى سبيل الله حق جهاده وقال (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله)

وأنزل عليه الكتاب بالحق يأمر بتوحيد الله تعالى وطاعته قال تعالى (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا إله إلا هو يحيى ويميت فامنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلك تهتدون) فقام صلى الله عليه وسلم بالأمر ودعا قومه وأخذ عليهم العهد والميثاق أن لا يشركوا بالله شيئا وعلى إقامة الحدود وعلى نصرته وبايعته الصحابه على ذلك فجاهدوا فى الله وهاجروا معه ونصروه فى هجرته فنعم المهاجرون ونعم الأنصار .

وكان صلى الله عليه وسلم يغزو الكفار والمشركين فى سبيل الله فكان يقوم معهم الغزوة بعد الأخرى يقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله وكان يرسل السرايا من أصحابه يؤمر على كل سرية رجلا منهم من ذوى الخبرة والصلاح يدعو الناس إلي الدين ويقاتلهم حتى يؤمنوا بالله ورسوله فإذا آمنوا يأخذ عليهم البيعة للنبى صلى الله عليه وسلم بدليل ماورد فى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) قاله لمعاذ حين بعث إلى اليمن .

فانتشر دين الإسلام وظهر كالشمس لا يحجبه ظلام الكفر ولا يجحده إلا من مال

إلي الحياة الدنيا واطمأن اليها فباء بغضب من الله نسأل الله السلامة فى الدنيا ويوم الدين .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى لمن أراد الهداية والسلوك على منهجه القويم كان كاملاً مكملا خلقاً وإيماناً وعلما لم يخلق مثله مطلقاً .
وكان يدعو قومه بالحكمة والموعظة الحسنة وكانوا يؤذونه وهو يقول (اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون) فلم يكن أحسن منه أخلاقاً ولا يمكن أحداً أن يمدحه صلى الله عليه وسلم بأكثر مما مدحه الله تعالى به فى قوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) ولم يقبضه الله سبحانه وتعالى من بين قومه حتى أكمل لهم دينهم وأتم نعمته عليهم كما قال فى كتابه العزيز (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) .
وقد ورد فيما رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سئل عن صفة رسول صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال أجل والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن ، يأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً .

دعوة الخلفاء الراشدين

فلما انتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى خلفه سيدنا أبو بكر رضى الله عنه فدعا إلى الله تعالى بدعوته وجاهد فى سبيل الله تعالى مع أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأمده الله بمدده وكان فيهم نور النبوة لهم الهمة المشهودة . والقوة المعهودة . فبايعوه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا معه قلباً وقالباً . قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) .

فلما انتقل خلفه سيدنا عمر رضى الله عنه وسار على سنة رسوله الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من سمى أمير المؤمنين فدعا الى الله تعالى وأقام الدين وحكم بالعدل بين المسلمين . فلما انتقل خلفه سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم سيدنا على رضى الله عنه . وهكذا استمرت هذه الدعوة فى الخلفاء الراشدين ثم التابعين على منهجهم المتين . ثم تابع التابعين ونور النبوة بين أيديهم يعملون على وجه الإخلاص وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرون الناس بأيام الله ويأخذون عليهم العهد والميثاق بتوحيد الله وعبادته فكانت قلوبهم صحيحة لا تدخلها أمراض الباطن كحب الدنيا والكبر والعجب والرياء والحسد والحقد وغير ذلك مما يبعد العبد عن ربه .

فلما جاء اخر القرن الثالث كثرت الفتن وظهرت هذه الأمراض فى القلوب وأصبح الإمام الحاكم على الناس يتقلد تقاليد الملوك ولا ينظر إلى دعوة الدين وكثرت الأقاويل فى الدين والفتاوى والشبه فى التوحيد ويرجعون إلى العلماء في المهمات فاشتغلوا فى النظر والإستدلال وكثرت الفرق . وظهر إختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء وقد صدق فى هذا حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم (خير القرون

قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) وفى رواية مسلم (خير الناس القرن الذى انا فيه ثم الثانى والثالث) .

وقد كانت الأوائل من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين لا يحتاجون إلى تدوين الكتب لأن التعبد كان بينهم عمليا ولم يكن هناك أثر للإختلاف لصفاء عقائدهم . وبركة صحبتهم للنبى صلى الله عليه وسلم فكان لمعان نوره فى القلوب أماناً لهم فقامت العلماء على أثر الفتن التى ظهرت يدونون الاحكام الشرعية ويبينون كيفية العمل وما يصح اعتقاده . وما لا يصح ليستفيد منها من يريد العمل لكن كثرت الإستدلالات واستنباط الأحكام وغيرها من طرق دفع الشبه التى أوجبت التهويش على العقول فأصبح العلم رسماً والعمل قليلاً .

ظهور السادة الصوفية

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضلهم كانت أمته آخر الأمم وأفضلها وقد مدحها الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز فقال تعالى (كنتم خير أمة إخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ولما كان دينه صلى الله عليه وسلم قائما على الحق على الدوام أراد الله سبحانه وتعالى " يؤيده بالعاملين من أمته صلى الله عليه وسلم فظهرت هذه الطائفة المشهورة بالسادة الصوفية وكانت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم سيدنا أبو هريرة رضى الله عنه كانوا يعبدون الله سبحانه وتعالى قائمين على توحيده وحبه والإكثار من ذكره وكان النبى صلى الله عليه وسلم يلاحظهم فى مسجده فجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم من المهاجرين يدعوه لتقسيم الخمس من الغنيمة وقال له دع هؤلاء فنزلت هذه الآية وهى قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم

بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) .

قال بعضهم ما سميت الصوفية صوفية إلا لصفاء باطنهم حيث صفا لهم الوقت بالعمل الخالص وصفاهم ربهم واصطفاهم لقربه وصفا معهم فمن صوفى سمى الصوفى . وقال القطب الشعرانى . التصوف عبارة عن علم انقدح فى قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة كما انقدح لعلماء الشريعة حين عملوا بما علموه من الأحكام .

وقد أجمع العارفون أنه لا يجمع العبد على ربه ويوصله إليه إلا ذكر الله تعالى والمداومة عليه وخلوة القلب به كما كانت الأنبياء تفعل ذلك وتبعتهم الأولياء . فالمؤمن لا يكون مؤمناً حقاً إلا إذا جعل حبه كله لله سبحانه وتعالى ولرسوله . لقوله عليه الصلاة والسلام (لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه من روحه التى بين جنبيه) .

فى الوقت الذى ظهرت فيه الفتن قامت هذه الطائفة ودعوا إلى الله ورسوله على بينة منه كما أمروا . قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وفى هذه الآية ما يدل على أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية لا فرض عين إذا قام به فريق سقط الفرض عن الباقين قال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة) فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . فمن هجر ذلك كان خارجاً عن هؤلاء المؤمنين . وقد ورد فى كتاب الله تعالى ما يؤيد التشديد على ترك النهى عن المنكر فى هذه الآية قال

تعالى (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وقد بشر الله سبحانه وتعالى بنجاة من يقوم بالنهى عن المنكر فى جملة آيات منها قوله تعالى (فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) .

وقال تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم . ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين . ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) .

فدعوا الى الله تعالى وصبروا على مشقات العبادة وعلى معالجة القلوب من أمراضاها . وعلى قهر النفس وجهادها . وصابروا وثابروا فى الدعوة إلى الله تعالى بإخلاص . ورابطوا بالمداومة عليها كما أمر الله ورسوله . واتقوا ربهم فى عملهم فتبرءوا مما سواه فأفلحوا ، وجزاهم ربهم بما صبروا جنة وحريراً .

فقاموا يداوون هذه الأمراض ويصفون الدواء ويعلمون الناس كيف العمل الصحيح على ما أخذوه من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأعماله وفعل الصحابة والتابعين والسلف الصالح علماً وعملا فهم العلماء حقيقة العاملون بما علمهم الله تعالى على وجه الإخلاص وهم ورثة الأنبياء فى دعوتهم وأمدهم الله سبحانه وتعالى بما كان يمد به الأنبياء والمرسلين من نور الهداية . قال تعالى (وما كان عطاء

ربك محظوراً) " أى ممنوعاً " وجعل لهم نوراً يمشون به فلا يضلون فكانت دعوتهم تؤثر فى القلوب لأنها خالصة لله ولوجهه الكريم . قال تعالى (أو من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها)

وقد استمرت دعوتهم قائمة على الحق يعملون بما علمهم الله تعالى يقيمون الشرع الشريف . ويتخلقون بالأخلاق المحمدية لأن الله تعالى اتخذهم لحضرته واصطفاهم لخدمته وطهرهم من رجس الأغيار . وكساهم حلل الأنوار وأفاض عليهم بما فتح لعين قلوبهم من أنوار المعارف الألهية .

فهم أهل الإحسان الواردون فى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو ماروى عن سيدنا عمر رضى الله عنه قال (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرنى عن الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن تشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال صدقت فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال فاخبرنى عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت . قال فاخبرنى عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك قال فاخبرنى عن الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال فاخبرنى عن أماراتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان . ثم انطلق فلبث ملياً . ثم قال يا عمر أتدرى

من السائل قلت الله ورسوله أعلم فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم رواه مسلم) .

فمن هذا الحديث تعلم أن مقام الإحسان فوق مقام الإيمان لأنه مقام مراقبة الله تعالى . وهؤلاء أيضاً هم السابقون بالخيرات بإذن الله تعالى قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين إصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) .

ولو جزمنا وقطعنا بأنهم هم ورثة الانبياء الوارد فيهم حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم فى قوله عليه الصلاة والسلام (العلماء ورثة الأنبياء) وهى الرتبة المطلوبة للعلم بالله تعالى والتقرب إليه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا طلع على يوم لا أزداد فيه علماً يقربنى إلى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم) بل لو قلنا أنهم الأولياء [١] الذى يتولون الناس لهدايتهم وإقامة البرهان لهم

---

[١] – الولى – فى أسماء الله تعالى هو الناصر . وقيل المتولى لأمور العالم والخلائق القائم بها . ورد فى الحديث من أسلم على يد رجل فهو مولاه أي يرثه كما يرث من أعتقه – وفى الحديث أنه سئل عن رجل مشرك يسلم على يد رجل من المسلمين فقال هو أولى الناس بمحياه ومماته أى أحق به من غيره قال ابن الاثير ذهب قوم إلى العمل بهذا الحديث واشترط أخر أن تضيف إلى الاسلام على يده المعاقدة والموالاة وذهب اكثر الفقهاء إلى خلاف ذلك . وجعلوا هذا الحديث بمعنى البر والصلة ورعى الذمام أهـ من لسان العرب .

- الولى – له مواضع فى كلام العرب . منها المولى فى الدين وهو الولى وذلك قوله تعالى (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) أى لاولى لهم .

وقوله عليه الصلاة والسلام مزاية وجهينة وأسلم وغفار موالى الله ورسوله أى أولياء الله – والمولي الحليف وهو من انضم إليك عز بعزك . وامتنع بمنعتك .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من تولانى فليتولى علياً معناه من نصرتى لينصره . وقوله عليه الصلاة والسلام (اللهم وال من والاه) أى أحبب من أحبه . وانصر من نصره .

قال ابن الأعرابى والى فلان فالناً إذا أحبه . قال عمر رضى الله عنه لسيدنا على كرم الله وجهه أصبحت مولى كل مؤمن أي ولى كل مؤمن وقيل سبب ذلك أن (أسامة) قال لعلى رضى الله عنه وكرم الله وجهه لست مولاى إما مولاى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه وقوله تعالى (الله ولى الذين أمنوا) قال أبو اسحاق الله وليهم فى حجابهم وهدايتهم وإقامة البرهان لهم لأنه يزيدهم بأيمانهم هداية كما قال عز وجل (والذين اهتدوا زادهم هدى) ووليهم أيضا فى نصرتهم على عدوهم وإظهار دينهم على دين مخالفيهم وقيل وليهم أى يتولى ثوابهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم (وتولاه اتخذه ولياً) .

وقوله تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) معناه من يتبعهم وينصرهم اهـ .

فإنما يكون لما نراه فيهم من إقامتهم على الهدى [١] وطريق الحق فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم لا يضرهم من خالفهم على مر الدهور والأيام . وينطبق عليهم ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله (لا تزال طائفة من أمتى قائمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون) فهم نصراء دين الله تعالى وهو وليهم . قال تعالى (الا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين أمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) وقال تعالى (والذين أمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين أووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) وقال تعالى (والمومنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) وقال تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين أمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) فكانوا يدعون على بصيرة كما يعلمهم الله تعالى ويلهمهم قال تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله)

فمن نظر بعين الإخلاص وطلب الحق وأحسن إلي نفسه ولم يظلمها وطلب الدار الآخرة ومرافقة النبى صلى الله عليه وسلم والسير على منهج الأولياء والصالحين فعليه أن يبحث عن هؤلاء القوم المشار ذكرهم فإنهم فى بقاع الأرض بل يجب ذلك على كل مسلم ويتعين عليه لأنه من الضروريات ليتخلق بأخلاقهم . ويتأدب بآدابهم . ويعامل ربه معاملة إخلاص .

---

[١] فى الحديث الهدى الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة . قال ابن الأثير الهدى السيرة والهيئة والطريقة .

ومعنى الحديث أن هذا الحال من شمائل الأنبياء أى من جملة خصالهم وأنها جزء معلوم من أجزاء أفعالهم وليس المعنى أن النبوة تتجزء ولا أن من جمع هذه الخصال كان فيه جزء من النبوة فإن النبوة غير مكتسبة ولا مجتلبة بالأسباب وإنما هى كرامة من الله سبحانه وتعالى . وتخصيص هذا العدد مما يستأثر النبى صلى الله عليه وسلم بمعرفته .

وقد حث الشرع على إزالة أمراض الباطن . ووردت بها الأحاديث والآيات ولم يسلم من هذه الأمراض إلا من رزقه الله السلامة فى الدين كالأئمة المجتهدين الذين عملوا بما علموه على وجه الإخلاص .

ولذا فان هؤلاء القوم تواصوا بينهم وتبايعوا على هذه السنة ولقنوا بعضهم بعضاً كلمة لا إله إلا الله وتوارثوا هذه البيعة جيلاً بعد جيل من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الآن كما سيأتى فكانت فيهم خلافة الدعوة الصادقة إلى الله تعالى .

وكان يظهر فى كل عصر من يجددها بخوارق العادات فتظهر على يديه الكرامات إكراماً منه سبحانه وتعالى ليلفت القلوب إليه وتجتمع عليه الناس وطبقات الأولياء مشحونه بأعمالهم فتراهم مصابيح الهدى وكواكب الإخلاص وشموس اليقين يسطع نورها فى كل عصر لهم المناقب العالية والكرامات الظاهرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يبعث الله على رأس كل ماية سنة رجلاً من أهل بيتى يجدد لها أمر دينها) رواه الإمام أحمد بن حنبل – فمن نهج منهجهم وما هو إلا منهج الشرع وتأدب بأدابهم وما هو إلا آداب النبى صلى الله عليه وسلم وتعلم من علمهم وما هو إلا ما علمه الله لهم فاز بالرضا وحسن الختام .

الأصل فى أخذ العهود

أما الأصل فى أخذ العهود فمأخوذ من الشرع الشريف بدليل ماورد فى القرآن وما فعله النبى صلى الله عليه وسلم وأعمال الصحابة والتابعين والسلف الصالح .

فالمعاهدة هى عبارة عن عقد قطعة الشخص على نفسه بينه وبين ربه على طاعة الله ورسوله والإقرار له بالوحدانية . وإرتباطه مع غيره فيه دليل على إشهاده على هذا العقد والمحالفة عليه والجماعة فيه لإتحاد القلوب وإخلاصها . والمعاونة على العمل والمثابرة عليه . والتخلق بالأخلاق الفاضلة . والعمل عليها . ومجاهدة النفس . ومداواة الأمراض الباطنية التى تضعف القلب وتميته وتبعده عن مولاه .

وقد ورد فى الكتاب الأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال تعالى (يأيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرع نقى يأمر بتوحيد الله تعالى وطاعته وقد حث على ذكر الله تعالى كما أمرنا به القرآن مما سيسرد عليك فى باب فضل الذكر والأمر به .

وحثنا على إتباع سنة الخلفاء الراشدين من بعده فقال (مهما أوتيتم فى كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد فى تركه فإن لم يكن فى كتاب الله فسنة ماضية فإن لم تكن سنة منى فما قال أصحابى إن اصحابى بمنزلة النجوم فى السماء فأيما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابى لكم رحمة) رواه البيهقى فى المدخل والطبرانى والديلمى عن ابن عباس مرفوعاً وذكره جمع غفير من العلماء وأخذ به الأصوليون .

قال تعالى (فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) والمراد بأهل الذكر العلماء العاملون الذين يعملون لله قال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وهم أولوا الأمر الذين تجب طاعتهم على كل انسان حتى الملوك لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وقد ثبت أن المعاهدة هى على الإقرار بالوحدانية لله تعالى والطاعة والتوبة وقد

ورد بها القرآن وأن الله تعالى أخذ العهد والميثاق على النبيين والمرسلين وعلى أصحابهم فقال تعالى (وأذ أخذ ربك من بنى أدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) وقال تعالى (وإذ أخذنا من النبين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منكم ميثاقاً غليظا . ليسال الصادقين عن صدقهم) .

وقال تعالى (ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله إنى معكم لإن اقمتم الصلاة وأتيتم الزكاة وامنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سياتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار) .

وقال تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم جعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلام عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) .

وقال تعالى (الم اعهد إليكم يابنى أدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم) .

لذلك كان أخذ العهد على طاعة الله تعالى من الأمور الشرعية . وقد فعل ذلك النبى صلى الله عليه وسلم بدليل ماورد فى كتاب الله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه) .

وقال تعالى (يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله) .

وعن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال ألا تبايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق (وفى أخرى) ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصونى فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فأمره إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه فبايعناه على ذلك . رواه الخمسة كما فى تيسير الوصول . وروى مسلم... من بايع إماماً أعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليعطه إن استطاع .... وعن عبادة ابن الصامت قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم السمع والطاعة فى العسر واليسر . والمَنشط والمكره وعلى اثرة علينا وعلى ألا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم.... وعن عوف بن مالك الأشجعى رضى الله عنه قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أوسبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا أيدينا وقلنا علام نبايعك يارسول الله قال على أن تعبدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيئاً وتصلوا الخمس وتسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية قال ولا تسئلوا الناس شيئاً . قال فلقد رأيت بعض أولئك النفر بسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه. أخرجه مسلم .

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال كنا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة يقول لنا فيما استطعتم . أخرجه الستة كما فى تيسير الوصول .

فالميثاق بنص الحديث إنما هو عهد على الإيمان والتبرؤ من الشرك وعلى طاعة الله ورسوله . وقد ورد فيما رواه الطبرانى والبزار رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقن أصحابه كلمة لا إله إلا الله جماعة وفرادى فأما تلقينه جماعة فقد روى شداد بن أوس . قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال هل

فيكم غريب (يعنى أهل كتاب) فقلنا لا يارسول الله فأمر بغلق الباب [١] وقال ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله فرفعنا أيدينا وقلنا لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنك بعثتنى بهذه الكلمة وأمرتنى بها ووعدتنى عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد . ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم أبشروا فان الله قد غفر لكم .

وأما تلقينه فرادى فقد قال الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله دلنى على أقرب الطريق إلى الله تعالى وأسهلها على عبادة وأفضلها عند الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلى عليك بمداومة ذكر الله عز وجل سراً وجهراً فقال على رضى الله عنه وكرم الله وجهه كل الناس ذاكرون وأريد أن تخصنى بشىء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلى أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله الا الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع فى كفة ولا إله الله فى كفة لرجحت بهم لا إله إلا الله . ياعلى لا تقوم الساعة وعلى الأرض من يقول لا إله إلا الله قال على كيف أذكر فقال غمض عينيك واسمع منى لا إله إلا الله ثلاث مرات ثم قل أنت لا إله إلا الله ثلاث مرات وأنا أسمع . فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته وعلى يسمع ثم على لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع .

ولقد ثبت أن سيدنا علياً رضى الله عنه لقن الحسن البصرى وهو لقن حبيباً العجمى وثبت أن سيدنا أنساً ابن مالك لقن غيره . وثبت أن سيدنا أبا بكر رضى الله

---

[١] أقول وانما أمر صلى الله عليه وسلم باغلاق الباب وقال هل فيكم غريب يحتمل أن يكون ذلك فى بدء الاسلام فلا يريد أن يلقنها فى حضرة من لا يؤمن بها ولتكون الجماعة على قلب رجل واحد ليس فيهم من يخالفهم لتحفهم رحمة الله ويقبل عملهم وحتى لا يكون القلب مشغول بغير الله بسبب وجود الاجنبى فيقولوها باخلاص . ولذا قال ابشروا فان الله قد غفر لكم .

عنه لقن غيره . واستمر التلقين واخذ العهد إلى وقتنا هذا وتجد ذلك مثبتا بأسانيد من عهدهم إلى وقتنا هذا [١] بطريق التسلسل ولقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى . قال اثنان خير من واحد . وثلاثة خير من اثنين . وأربعة خير من ثلاثة . وان الله لن يجمع أمتى إلا على هدى . واجتماع الصحابة والتابعين وتابعيهم الى وقتنا هذا على العمل الماخوذ من كتاب الله وسنة رسوله ومما فعله الأنبياء والمرسلون من قبل وما أخذه الله عليهم دليل على أنه هو الطريق المطلوب وهو الخير كله .

وقد رأينا أن هذه الطائفة المباركة طائفة السادة الصوفية هى التى قامت بالدعوة وثابرت عليها وكانت فى دعوتهم البركة والمدد النبوى بسبب الإخلاص فى النية وصدق العزيمة وصفاء الباطن ورأينا أن عامة الناس يأتون اليهم ويأخذون عنهم فيهتدون ويستمرون فى الطاعة وتحصل لهم بركتهم بخلاف غيرهم .

فكم نسمع وعظاً وإرشاداً من غيرهم ولكن لا يؤثر كما تؤثر دعوتهم ويذهب دعاؤهم ودعوتهم من غير تأثير وذلك لأن السادة الصوفية يأتمرون بما يأمرون ويعملون على وجه الإخلاص الحق فلا عبرة بمن يعارض هؤلاء القوم من غير عمل فأنه إنما يكون مريض القلب لا يريد عملا وإنما يريد جدلاً ويدعى أنه على علم مع أن العلم المقصود هو العلم بالله والعمل له قال عليه الصلاة والسلام (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ولكن يقبضه بموت العلماء حتى إذا جاء آخر الزمان اتخذ الناس رءوساً جهالاً بغير علم فضلوا وأضلوا) والمراد بالعلماء العارفون بالله العاملون له .

---

[١] لاتزال الان مشيخة السادة الصوفية بمصر لها إدارة كبيرة تثبت فيها رجال السلسلة لكل فرع بالأسانيد والاشهادات كابرا عن كابر بالأجازات الرسمية تقيد بدفاتر مخصوصة لها .

وعلامة داعى الحق أن يدعو إلى الله تعالى على ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم كما ورد فى كتاب الله تعالى والعمل به فتنجذب له القلوب . ولذلك سموا السادة الصوفية أهل الحق . فالمعاهدة إنما هى محالفة على الطاعة لإرتباط القلوب بعضها ببعض . وللتعاون على البر والتقوى وللخروج عن الصفات الذميمة بمصاحبة عامل من أهل الحق سلك هذا السبيل يرشده إلى الكمالات وإلى التخلق بالأخلاق المحمدية عملاً ولذا تمسك به كثير من العلماء العاملين وعضوا عليه بالنواجذ وحثوا عليه وهاهى أعمالهم وكتبهم تشهد بذلك .

وصفة الشيخ الذى يجب الأخذ عنه ومصاحبته هو الذي فتح لعين قلبه أنوار المعارف الإلهية بسبب تخلقه بالأخلاق المحمدية وأن يكون كاملاً عاملاً سائراً على الكتاب والسنة فيزنه من يريد معاهدته بميزان الشرع قبل الأخذ عنه ومتى وجده مقتفياً آثار القدم المحمدى فليطلب رضاء الله فى رضائه ويصاحبه ويلزمه . ويعتقد أنه أكمل أهل عصره ويتأدب معه فعساه أن يكسى خلعه ليصفوا بها باطنه من الشهوات ولا يشترط فيه أن يكون حافظاً للكتب عالماً بالمسائل المدونة فيها المحدثات والجدليات وفلسفة الأشياء وغيرها . وإنما يشترط فيه التقوى والكمال ويكفيه من علوم الدنيا ما تمس إليه الحاجة فى طريق سيره إلى الله تعالى فإن الله تعالى يرزقه العلم الوافر والتمييز والفهم الدقيق ويعلمه ما يشاء ليدعو إلى الله تعالى على بصيرة على طريق وراثة المقام المحمدى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم) أما إذا خالف ذلك وكان ميالاً إلى الشهوات مع اعتقاد كمال نفسه ولو كان كثير العبادة ظاهراً فأن ذلك جهل منه وعُجبٌ والعُجبُ حرام وأهل الكمال لا يرون لأنفسهم عملاً .

ولقد جمعنا الله سبحانه وتعالى فى عصرنا هذا على شيخ جليل وغوث لا يحتاج

إلى دليل . وزناه بميزان الشرع فوجدناه على نور من ربه فأخذنا عنه طريق القوم وسلكنا على يديه كما سلك عليه غيرنا من أبناء العصر وإنتفع به الجم الغفير من أبناء عصره واشتهر أمره بين الناس حتى صار طريقه معروفاً بأنه طريق الهدى طريق الشرع طريق الحق . ولا أسوق إليك أخبار الماضين الذين تقدموا وجاهدوا حتى نالوا رضا الله وأنما أسوق إليك ترجمة حياته وأعماله وسيرته مفصلة كما شاهدنا برأى العين لتعلم كيف سار القوم على منهج الشرع وكيف يؤخذ عنهم وكيف يتأدب مع الله بآدابهم . نفعنا الله تعالى بهم آمين .

الباب الأول
ظهور الأستاذ الكامل الشيخ أبى خليل
فى هذا العصر وسيرته ودعوته

فى أوائل القرن الرابع عشر ظهر قطب هذا العصر الغوث العامل سلطان الذاكرين وتاج العارفين . وقدوة العاملين . وحبل الواصلين . والشمس التى أشرقت على القلوب فانتعشت . وبسط عليها شعاع الإخلاص فانبسطت وأمطر عليها غيث الرحمة فربت وبذر فيها بذور المعرفة فأنبتت . وسقاها من ماء إيمانه فنمت . ولاحظها بروح المناجاة فاينعت وتعهدها بالحراسة من عبث الشياطين فعملت بما علمت . وسارت بسير أهل الحقيقة على ناموس الشريعة فسلكت . وظهر الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . وقامت على ذكر الله فخشعت . وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا فامنوا به إيماناً سلك بهم إلى معرفة نفسهم ومن عرف نفسه فقد عرف ربه [١] .

وذلك هو الأستاذ الجليل والشيخ العظيم الذى ليس له مثيل . سيدى وأستاذى وقدوتى الى الله تعالى سيدى الشيخ (محمد أبو خليل) رضى الله عنه وأرضاه وأمده بروح

---

[١] المعنى أن من عرف أن له قلباً ولساناً ويدين وعينين وأذنين ورجلين وأن الروح متسلطة على هذه الجوارح تسيرها بحسب الإرادة فيتكلم لسانه نطقاً بالفاظ معلومة معبرة عن الروح ويتكلم باليد كتابة ويمشى على الرجل حسب إرادة الروح ويبطش باليد حسب إرادتها أيضاً ويسمع ويبصر كما يريد عرف أن الكل مخلوق وأن الله يصير المخلوقين بحسب إرادته سبحانه وتعالى ومن عرف نفسه بأنه خلق من عدم وأنه صائر إلى الموت عرف أن له رباً خلاقاً دائم الحياة وهكذا فمن تفكر عرف اهـ .

تجلياته فى سلك حضرة أنبيائه صلى الله عليه وسلم .

ظهر رضى الله عنه فى فترة كاد الحق فيه يطمس بين أمة منصرفة عن الطاعة إلي اللهو واللعب والفسوق والعصيان وتقليد أهل الزيغ وقل أن تجد من يفكر فى اتباع أوامر الشرع إلا القليل من المؤمنين وفى وقت كانت المعاهد والمدارس عامرة بالعلوم الحديثة والطبعيات وما أشبه ذلك من العلوم التى استنارت بها العقول وأزهرت بها المدارك وظهر منها المدهشات من المخترعات الغربية . وظهور خواص الأشياء وكثرة البحث فى المعقولات وفى فلسفة الأشياء ولكنها منصرفة عن علوم الدين والعمل به حتى كان المؤمن الذى يعمل بأوامر الله ممقوتاً من أهل التمدين الحديث ويعدونه مجنوناً أو معتوهاً أو خبل فهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون .

فلما ظهر رضى الله عنه ساق النفوس إلى معرفة ربه بمدد نبوى حقيقى أمده الله به من نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ولحظه بعين عنايته . ووالاه برعايته ودعا الناس إلى العبادة والطاعة . فانتشرت دعوته وسطعت أنواره وبزغت له الأرواح فأمدها من نور روحه الطيبة العالية . فبذر فيهم بذور الحب فاشتاقوا إلى مولاهم وقادهم إلي محبته فهاموا وقاموا على ذكره فتلذذوا . ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره .

فكان رضى الله تبارك وتعالى عنه لهم شمس الحقيقة من مشكاة ذى الجلال وما زال يجاهد ويدعو بسر يبعثه الله فى القلوب فتؤمه الناس حتى انتهت إليه الرياسة فى هذا العصر فكان مع الكياسة والفطنة والذكاء ورجحان العقل الموهب يقيم وزن الحقيقة بالقسط على دعائم الشرع فسلك المسلك القويم وأبان السبيل . وهدى الناس إلى الطريق مستقيم .

ترجمة حياته

ولد رضى الله عنه من أسرة عربية شريفة ذات حسب ونسب لأن جده نزح من اليمن إلى مصر أميراً من الأمراء (السناجق) الذين عينوا من قبل الدولة العثمانية بالبلاد المصرية لإدارة شؤنها . وكان صالحاً تقياً شريفاً ينتهى نسبة إلى مولانا الحسين رضى الله تعالى عنه فتنقل فى بعض بلاد القطر وتزوج والده بوالدة سيدى الأستاذ رضى الله تعالى عنه من أسرة شريفة بناحية سنورس من زعماء الفيوم من سادة العرب الأشراف بها وهى تدعى أسرة سليم . انتقل بها إلى قرية (القضابة) من زعماء الغربية . وفيها ولد سيدنا الأستاذ رضى الله عنه ثم انتقل إلى كفر النحال . وفيها نشأ الأستاذ رضى الله تعالى عنه فشب على الطاعة وعلى العبادة فى حجر والديه حتى إنتقل والده رحمة الله عليه إلى الدار الآخرة . فعاش الأستاذ بعده وكان لايملك شيئاً فاشتغل بالتجارة مع اشتغاله بالعبادة . وكانت الناس والتجار يعلمون منه من الصدق والأمانة فيجيئونه واشتهر بينهم بذلك وكان أمياً لايقرأ ولا يكتب . ومع ذلك فكان لا يحتاج إلى حاسب يحسب ماله وماعليه بل كان بقوة إدراكه يحسب القليل والكثير بغاية الدقة . وأخذ طريق سيدى على البيومى على شيخه الشيخ شناوى يوسف الذى كان وقتئذ بالزقازيق . وكان من أكبر المسلكين فكان سيدى الأستاذ يداوم على مجالس الذكر والحضرات بين يديه فكان يرى فيه نجابة الأولياء . وصفاء الأتقياء . وعمل النجباء . حتى كان يرى له أحوالاً خارقة فكان يجله ويحترمه من بين إخوانه .

وكان حاله الذكر الدائم فكان يذكر فى الليل والنهار حتى وهو يشتغل بالتجارة . وكان يقوم الليل فى المسجد يذكر الله تعالى وحينما يجد النوم غلبه يقوم ويتوضأ ويصلى فيتهجد . وكان ينزل الماء البارد ليبرد فيذهب عنه النوم . واستمر على ذلك مدة حتى نزل

مرة فى الماء فى زمن البرد الشديد فوجده دافئاً وخرج وملابسه لم تبتل . فقال إن هذا نعيم وتركه وخرج إلى الخلاء . وكان يتعبد فى الليل ببعد عن الناس ويرجع فى النهار إلى تجارته . وذكر أن شيخه الشيخ شناوى المذكور كان يتعهد مريديه فى الحضرات ومن يتأخر منهم يستحضره ويسأله عن سبب التأخير فإذا وجد التأخير بغير عذرٍ عاقبه وكان عقابه له أن يمر مسبحته على ظهره فكان المريد يعود لمنزله مريضاً إلا شيخنا رضى الله تعالى عنه فكان لايؤثر فيه شئ من ذلك

خلوته

وحبب إليه الخلوة والبعد عن الناس مطلقاً ليلاً ونهاراً وليس فى مقدور امرئ أن يشرح حال من جذبهم الله إليه فأنها من الأمور الوجدانية التى يقصر القلم عن شرحها وغاية الأمر أنها الإنقطاع إلى الله تعالى والإنس به مع العجز . ويظهر ذلك جلياً فيمن هجر ماله وولده كشيخنا رضى الله عنه فأنه ترك تجارته العظيمة وأولاده صبية صغاراً لاعمل لهم حتى قال بعض جيرانه لصاحب له إنى لفى ألم شديدٍ لأولاد الشيخ فإنه تركهم ولاعائل لهم فحضر الشيخ وكلمه بحدةً من غير أن يكون قد بلغه شئ . وقال له أسألك أولادى شيئاً وهل تظن أن الله الذى يرزق من فى الأرض جميعاً ينسى أولادى وأفحمه وأسكته وكان ذلك دليلاً على حسن يقين الشيخ بالله سبحانه وتعالى .

ولما ترك تجارته لولديه الأستاذ الشيخ إبراهيم والشيخ محمد كانا لايزالان فى حالة يحتجان إلى الرعاية فيها فلم يمكنهما القيام بشؤون التجارة حتى تبددت .

وكانت إقامته رضى الله عنه بالمقبرة التى بها ضريح سيدى المبرز الولى معتزلاً جميع الناس مدة سبع سنوات وهو مجذوب فى حب الله تعالى ورسوله وكان إذا رأى السيدات

يتبعن جنازة ضربهن بالعصا حتى يعدن من حيث أتين . وكان له فى حال جذبه بالقرافة أحوال غريبة وخوارق كثيرة أخبرنا بها رضى الله تعالى عنه .

منها أنه رضى الله عنه قضى مدة أيام تقرب من أربعة أشهر لا يأكل ولايشرب ولا ينام وهو هائم فى حب الله تعالى بل حقق عدد الأيام بأنها مائة وسبعة عشر يوما .

ومنها أنه كان يرى أنوار أهل القبور ويعرف منهم المرحوم والمعذب وأخبرنا رضى الله تعالى عنه أن كل شخص لايتعداه نوره فلايمتد إلى غيره وكذلك المظلوم وكان يسمع أنين المعذبين منهم ولكن لايفهم كلامهم .

ومنها أنه كان يسمع الطيور ويعرف لغتها ولغة كل أعجمى ولغة النبات والأشجار ويأنس بها وما تكلم إنسان أمامه بأية لغة عرفها وعرف ما يقول .

ومنها أن ملابسه دامت عليه مدةً طويلة لايغيرها فأصبحت كالجلد من شدً ما عليها وهو لايخلعها ولايغسلها فأراد الله سبحانه وتعالى أن ينظفها له قهراً عنه فأوجد فى نفسه باعثاً للإغتسال فنظر أمامه وإذا بطريق ممتد فسلكه وإذا هو على بحر وعلى حافته مدرج ينزل إلى البحر فنزل على هذا المدرج وخلع ثيابه واغتسل وخرج ثم اشتاقت نفسه إلى غسل ملابسه فغسلها وأزال مابها حتى صارت فى غاية النظافة وجففها ولبسها وصلى وعاد من حيث ذهب ثم أراد أن يرجع مرة ثانية فلم يجد هذا البحر فعلم أن الله أكرمه (كما سمعت ذلك من لسانه) رضى الله تعالى عنه .

وأخبرنا رضى الله تعالى عنه أنه سمع شجرة تسبح وتقول سبحان من تسبح له الأغصان والأوراق . فقال فى نفسه إن كان هذا التسبيح من جهة واحدة فيكون هذا من

الشيطان يريد الفتنة وإن كان من جميع أجزاء الشجرة كان هذا كلامهما فأصغى لها فإذا هو من جميع أجزاء الشجرة .

ظهوره ودعوته

فلما أراد الله سبحانه وتعلى ينفع الناس به ألهم بالخروج إلى الناس فخرج إلى بيته ولا يزال حال الجذب يغلب عليه فلم يجد فى بيته شيئاً لأن ماله قد أذهبه . الله سبحانه وتعالى ليرجع إلى بيته مجرداً له وتظهر ولاية الله تعالى له . ووجد جزءاً من المسكن قد تهدم فأقام به أياماً قليلة وعاد يباشر تجارته فابتدأ فيها بثلاثة قروش كما أخبرنى بذلك فبارك الله فيها وزادت كثيراً وهو لا ينظر قط إلى ما فى أيدى الناس ولا إلى الدنيا بأي حال بل كان يجدها تخدمه وفى الحديث القدسى (يا دنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه) .

وبعد أن خرج من خلوته هذه ظهرت له كرامات واضحة سيما الكشف وشفاء المرضى حتى أن النصارى والمتفرنجين من أهل العصر والمتعلمين تعليماً عصرياً من رجال الحكومة وغيرهم كانوا يذهبون إليه للتبرك وطلباً لشفاء مرضاهم واستطلاع ما يهمهم من أمور الدنيا ولقد عقد عقد قسس الزقازيق جميعه لتحذير النصارى من الذهاب اليه خوفاً عليهم من أن يخرجوا من دينهم كما حصل لبعضهم وكان شيخه الشيخ شناوى يوسف يتردد عليه ويزوره فى بيته وكان أمام بيته قطعة أرض يزرع فيها بعض الأزهار وكانت معروفة بالجنينة وكان شيخنا يجلس فيها وتزوره الناس فيها وقد كان شيخه يلح عليه باعطاء العهود للناس وطلب له إجازة الطريق من سجادة البيومية وكان سيدى الأستاذ لا يهتم بشأنها حتى أحضرها له بنفسه فقبلها وسلمها لولده سيدى الأستاذ الشيخ إبراهيم أبو خليل وأمره بحفظها وصارت محفوظة إلى الآن وهى مؤرخة ومسجلة فى سنة ١٣١٦ هجرية .

وقد اهتدى من عرفه ببركة التردد عليه ولو لم يتلق العهد وقد كان يمتنع عن إعطاء

العهود فى مبدأ الأمر بعد إلحاح وتردد كثير وربما ترك البعض مدة تزيد عن السنة أو السنتين . ثم شرح الله صدره لإعطاء العهود بلا امتناع فأمه الجم الغفير من كل جانب وانجذبت له القلوب وظهرت على يديه الكرامات العديد وخوارق العادات واشتهر حاله فسلك سبيل الخير وأيد الحق وبرقت له العيون وانفتحت له القلوب وكثر تابعوه وظهر عليهم نور الإيمان وصار يلقن الذكر لكل من يطلب ويأخذ عليه العهد بالطاعة ولزوم جماعة المؤمنين وخدمة الفقراء والمساكين على قدر الطاقة وتجنب المعاصى .

وقال رضى الله تعالى عنه رأيت أننا فى موكب عظيم جمع أهل الطرق الصوفية جميعها والكل سائر إلى النبى صلى الله عليه وسلم وكل طائفة من أهل الطرق معها شيخها ومعهم علم الطريق فى شرذمة قليلة وأنا فى آخرهم ومعى جمع كبير وعلم كبير جداً قال فكنت أمر بجمعى على طائفة نذكر الله تعالى ونجد الطائفة المتقدمة تذكر الدنيا وأعمالها فنتركها ونسير . وهكذا حتى مررنا على الطوائف كلها وانتهينا إلى الأمام وكان جمعنا فى النهاية هو الجمع الشامل وكل الطوائف تتبعه حتى كنت أنا وجمعى أول الداخلين على النبى صلى الله عليه وسلم [١] .

هذا وكان لا يرى لنفسه عملاً بل كان يرجع أمر العهد إلى سيدى على البيومى فكان يقول لهم اليد يد سيدى على البيومى كما سيأتى .

وهذه صيغة المعاهدة التى كان يعاهد عليها الناس كان يجلس أمامه المريدون ويضع يده فى يدهم ويقول لهم الكل منا يقول لا إله إلا الله فيقولها الجميع ويكررها ثلاث مرات ثم يقول أستغفر الله العظيم ويكررها مع الجميع ثلاث مرات ثم يقول وهم يتابعونه تبت إلي الله ورجعت إلى الله وندمت على ما فعلت وعزمت على أن لا أعود إلى المعاصى

---

[١] تدل هذه الرؤية أن طريقه يكون هو الطريق القويم طريق الذكر وهو السابق إلى الخيرات بإذن الله فيجمع الطريق كلها وتتبعه فى النهاية . ولذا قال الأرض لنا .

أبداً . وبرئت من كل دين يخالف دين الإسلام . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله أشهد بالله [١] أنى تائب الى الله تعالى من جميع الخطايا راغباً فى امتثال أوامر رسوله مجتنباً محارمه . مجتهداً فى طاعته منيباً إليه مواظباً على خدمة الفقراء والمساكين على قدر الطاقة وأن سيدنا وقدوتنا إلى الله تعالى سيدى على البيومى شيخنا فى الدنيا والآخرة العهد عهد الله [٢] واليد يد الله ويد شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى سيدى على البيومى شيخنا فى الدنيا والآخرة والله على ما نقول وكيل . وكان الجميع يقولون معه ذلك.

وكان المأذون من قبله بإعطاء العهد يقول اليد يد سيدى وأستاذى الحاج محمد أبو خليل شيخنا فى الدنيا والآخرة .

أحواله وأخلاقه

وكانت أخلاقه كلها أخلاقاً محمدية فطرية فيه لا يتكلفها لأنه مع كبر سنه وبلوغه ما يقارب المائة سنة فإنه كان شديد القوة لا تفتر عزيمته ولا تنثنى همته ليس له هم إلا الطريق وجمع شتات القلوب إلى الله تعالى والسهر والذكر .

وكان يقيم غالب النهار معتكفاً إلى الله تعالى حتى يظن أنه لا يخرج يومه وكان يخرج حتى يظن أنه لا يعتكف على أنه كان يقيم الليل فلا ينام إلا أو قات قليلة وكان نراه

---

[١] معنى أشهد بالله . أى أقسم .

[٢] ومعنى العهد عهد الله – هو أن العهد الذى يأخذه الشيخ على المريد هو عهد الله الذى أخذه على الخلق بعبادته وإتباع شريعته . ومعنى اليد يد الله – أى أن يد الشيخ مدت للمبايعة بأمر الله فاضيفت لله تشريفاً وتعظيما لشأن المبايعة وتنبيهاً للمريد أنه بمبايعته هذه كانه أخذ على نفسه عهد أمام الله بالقيام بمقتضاه فيراقب ربه دائما ويخشاه .
وذكر اليد فى قوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) أى قدرته عليهم تشعر بذلك وتنبه المريد إلى معاملة الحق وخشيته لأنه صاحب القدرة والسيطرة عليهم اهـ .

يقظاً فى مكان نومه .

وكانت تقام بين يديه مجالس الذكر من أول الليل العشاء إلى انتصاف الليل ثم يقوم إلى خلوته فيذكر الله تعالى ويتهجد حتى يصلى الفجر وبعض الأحيان كان ينظر حتى تطلع الشمس وبعدها ينام عقب ذلك وعلى كل حال فإنه كان ينشط فى الصباح دائماً ويجلس هائماً بذكر الله تعالى . وكان يخبرنا أنه لا ينام إلا مقدار ثلث ساعة على الأكثر فى اليوم والليلة .

وكان شديد الحياء من الله تعالى فإذا جلس مستوياً متأدباً وكان أشد الناس تواضعاً وأسكنهم من غير كبر وأحسنهم بشراً لا يهوله شىء من أمر الدنيا . وكان غاية فى الزهد والورع والكرم وكان أعدل الناس وأعفهم يكره أن يمس يد امرأة لا يملك عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه حتى كانت تأتى اليه الناس ليأخذن عليه العهد فلا يضع يده فى يدهن بل يأتى بالمسبحة فيمسكها من جهة والمرأة من جهة أخرى وهى مقنعة وإن كلمهن لا يكلمهن إلا فى الدين وما يصلح للآخرة .

وكان يلبس المرقوع وكان يلبس ما وجد فمرة يلبس قفطاناً وجبة . ومرة قفطاناً وجلباباً من صوف . ومرة يلبس جلباباً من النسيج الهندى الذى يسمونه بالسكروته . ومرة يلبس عقالاً وعباءة بيضاء . ومرة يتعمم على طربوش أبيض أو على طاقية صوف أبيض . ومرة على طربوش أحمر . ولكن كان الغالب عليه وخصوصاً فى السنين الأخيرة من عمره أن يتعمم بالعمامة الحمراء ويلبس جلباباً من صوف غنم أحمر بحسب خلفته تحته قميص من كتان أو من نسيج مكرش فوقه صديرى وعباءة صوف غنم أحمر بحسب خفته فما وجد من المباح لبس وربما حسن له الناس بالملبس من المباح فيلبسه – وقال مرة لما استمر فى لبس العمامة الحمراء كان سيدى على البيومى يلبس كذا وكذا وكان يلبس العمامة .

لحمراء وهاقد ألبسونى كما كان يلبس .
وكان رضى الله تبارك وتعالى عنه يخدم أهله . وكان يشترى لهم ما يلزمهم وربما نزل بنفسه إلى السوق واشترى ما يلزمهم ويحملها بنفسه .
وكان يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة وكان يحب التريض فى الهواء النقى والتمتع برؤية المياه والمناظر الجميلة فى أوقات مخصوصة وكان لا يحقر مسكيناً لفقره ورثائته ولا يهاب عظيماً لسطوته يدعو هذا إلى الله عز وجل دعوة واحدة فكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله عز وجل .

آدابه مع أتباعه وأصحابه

كان رضى الله عنه يكرم ذوى رحمه ويصلهم من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم وكان لا يجفو أحداً ولو فعل معه ما يوجب الجفاء وكان يقبل معذرة المعتذر إليه ولو فعل ما فعل . وكان إذا جلس بين أصحابه يجلس كأنه أحدهم وربما جاء الغريب فلا يدرى أيهم ولايعرفه إلا بهيئته ونور إيمانه أو دله أحد عليه . وكان إذا جاءه أحد فى حاجة اقبل عليه ويسمع منه وأرشده إلى الخير . وكان يقول دائماً فى جوابه على بركة الله أو بركة المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان لا يواجه أحداً بمكروه منهم مطلقاً ولا يتعرض فى وعظه أو إرشاده إلى إحد معين بل يتكلم خطاباً عاماً . وكان يقبل على أصحابه وأتباعه بالمباسطة حتى يظن كل منهم أنه أعز عليه من جميع أصحابه وكان يمزح معهم مزاحاً لطيفاً جداً ويقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً .
وكان رضى الله عنه لا يكلفهم شيئاً وكثيراً ما نسمعه ينهى عن كثرة الإنفاق فى غير حاجته .
وكان يجلس معهم ماشاء ويخلو عنهم ما شاء فاذا رأى الفضل فى الخلوة خلا عنهم .

وكان يقابلهم بالرفق ولا يقابلهم بالعلم وكان يتدرج معهم فى العلم المبتدىء بطريق الحكاية والمتعلم بطريق المستفهم كأنه هو الطالب للتعليم بوجه جميل يتدرج به من درجة إلى درجة حتى يورثه التمييز والتفكير فيما هو لازم إليه ويرقيه بصدق واخلاص بدون أن يشعر المريد أو العالم أو المتعلم أنه يعلمه فيفتح عليه باب الطلب فينفتح قلبه للشيخ ويقبل بقلبه عليه فيرزقه الله الفتوح والمواهب ويزداد فى قلبه حب الشيخ ويتمنى أنه لاينفك عنه .

وكان يقبل الهدية ويكافىء عليها قلت أو كثرت وكان يجيب دعوة من دعاه غنياً كان أو فقيراً يتلطف بحال كل واحد منهم . وكان يحبب إلى المتقاعد منهم العمل والسعى على المعاش فلا يرضى لأحد أن يكون عالة على سواه أو يعيش من سؤال الناس فكان ينطبق عليهم ماورد فى الأثر (أعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) .

وكان رضى رضى الله عنه لايحب أن يسمع عنهم مكروهاً وإذا سئل أن يدعو على أحد امتنع ودعا له وقرأ له الفاتحة . وهذا خلق من أخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد ورد فى الحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم (لا تبلغوني عن أصحابى إلا خيراً فانى أحب أن أخرج إليهم وصدرى سليم) وكان يعطف عليهم ويقضى لهم حقوقهم . فلا يضيع لهم حقاً اعتماداً على رضاهم أو إخلاصهم فى المودة بل كان لا يجعل لأحد حقاً عليه وكان يتنزه عن مال أتباعه عامة ويؤدى ما عليه لهم إن وجد شىء من ذلك .

وكان لا يظهر لهم ريبة ولاشكا فيهم أو فى أحدهم عملاً بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم (إذا ابتغى الأمير الريبة [١] فى الناس أفسدهم [٢] رواه أبو داود رضى الله عنه .

---

[١] ــ الريبة ــ التهمة .

[٢] والمراد أن الإمام إذا اتهم وجاهرهم بسوءا لظن اداهم ذلك إلى ما ظن فيهم ففسدوا .

وكان رضى الله عنه يحفظ أسرار المريدين فيما يكاشفونه به . وكان لا يظهر لهم كرامة مخصوصة أو يبين لهم أنه يعرف شيئاً من أحوالهم بل كان يعرفهم أن النعم المطلوبة واستزادتها إنما هى العمل والقرب لله تعالى . فإذا كاشف إنساناً بشىء مما عنده ستره عليه فى إلقائه فيعلمه المريد . والشيخ يظهر الغفلة عنه فلايفقه المريد أن الشيخ يعلم شيئاً فيما يكاشفه به على سبيل الإستتار إلا فيما ندر وفى أحوال الهيام الشديدة فإنه ربما كاشف البعض بأحواله . وكان لا يكون إلا لضرورة تصلح لدين المريد أو إرشاده فيما ينفعه فى دنياه بما يرضى الله ورسوله .

وكان رضي الله عنه يقابل جميع الناس بالبشر والإيناس وربما جاءوا إليه فقاموا من غير كلام لشدة هيبة مجلسه وسكونه . حتى قال بعض زائريه لنا مرة إن هذا الشيخ الساكن الساكت ينبعث من قلبه شعاع على القلوب فيسطع عليها فيؤنسها لكنه يخيم عليها فلا يجد مجالاً للكلام فى حضرته . ومع ذلك فكان يتكلم مع كل إنسان بحسب حاله إن تكلم معه فى أمر الآخرة تكلم معه . وإن تكلم فى أمر الدنيا تكلم معه . وكان لا يتكلم معه أحد فنعمل من الاعمال أو فن من الفنون إلا يتكلم معه فيه كأنه عالم بجميع نصوصه وفصوصه . وربما سأل محدثه فى دقائقه فيقف عن الجواب حائراً أو يندهش وهذا كله بكلام لين هين يأنس به محدثه . وكان لا يهتم بمقابلة الناس لقصد المؤانسة إلا إن كان لذكر الله والتوبة وإعطاء العهود . وما عدا ذلك فكان يقول لا شأن لنا بهم .

سياحته وأسرار الطريق فيها

ولما اشتهر أمره وانتشر طريقه فى البلاد اشتد الإلحاح عليه للقيام إلى بعض البلاد بدعوة من أهلها فكان فى أوائل الأمر يقوم من بلده إلى البلد المدعو فيها فيقيم ليلة أو بضع ليالى يقيم ذكر الله تعالى ويهتدى على يديه الجم الغفير من الناس فيأخذ عليهم العهد

بطاعة الله تعالى وأوامر رسوله ثم يعود إلى أن كثرت الناس فى طلبه وكثر عليه الإلحاح والرجاء بالإنتقال وتزاحمت الناس على دعوته فكان يقوم من بلد إلى بلد برجاء شديد .

وكان لا يحل ببلد ويتنفس فيها إلا وملأ قلوب أهلها نوراً وإيماناً فإذا حللت فى مكان حل فيه ترى نور الإيمان ظاهراً على من فيه وجوههم ضاحكة مستبشرة كأنما هم فى موسم عباده . منهم الذاكر . ومنهم الشاكر . ومنهم القائم على خدمة الفقراء والمساكين يقابلون الوفود الذين يحضرون لزيارة سيدنا الأستاذ بالفرح العظيم والقلب السليم لا يهتمون بشىء من أمور الدنيا مطلقاً بل أكبر أمر لديهم هو العمل للآخرة .

وكانت تقام الحفلات وتعمل الولائم وتقام حضرات الذكر بين يديه مع الإنشاد .

وكانت تظهر فيها الأعاجيب من إكرام الله تعالى له وحفظه واشتهار الدعوة منها أن المحتفل به كان لا يرى أى عسر فى سبيل إقامة الحفلات والإنفاق عليها مع أن فى المحتفلين من يكون حاله حال كفاف . ولكن الله سبحانه وتعالى يجعل مع العسر يسراً فيفيض عليه من فضله ويسهل له الأمر وينفق من حيث لا يشعر لشدة فرحه وإخلاصه ويظن أنه أنفق كثيراً ولكن فى النهاية يجد أن الله بارك فى القليل حتى صار كثيراً .

ومنها أن البعض كان يدعوه وليس لديه استعداد فحينما يحل سيدى لديه يكون قد أعد طعاما قليلاً على قدر من حضر معه . ولكن بعد ذلك يجد الوفود حلت من كل جهة لزيارة سيدى الأستاذ حتى يضيق المكان ويزدحم البلد بالزائرين فيقدم لهم الطعام ويبارك الله فيه حتى يكفى كل الحاضرين وهو لا يدرى .

ولقد حدث لى ذلك مراراً وتكراراً . وفى مرة كنت استحضرت طباخاً من المنصورة لا أعرفه من قبل وعملنا معه حساباً على ما يكفى اطعام مائة انسان واستحضرت له

الأدوات اللازمة لذلك . فلما جن الليل وجاء القوم صرنا نطلب منه عشاء عشرة فعددنا بعد ذلك فى الساعة الحادية عشرة فوجدنا الموائد التى قدمت (٣٥) فى (١٠) وخرج الطباخ وصبيانه يقولون ما وجدنا فى عمرنا أخف ولا أحسن من ذلك مطلقاً . فالطباخ يقول كنت مساقاً إلى إنجاز الطلب ولا أنظر إلى ما عندى فأجدنى مضطراً إلى الإنقياد بخلاف الجهات الأخرى فيعترينى الملل فيها أما هنا فأؤدى عملى إلى النهاية والصبى يقول كان لى (كيف) لا يمكنى الصبر عنه ساعة فما تناولته طول وجودى فى العمل يوماً وليلة وأنا مسرور أكثر من تناوله وتاب عنه وحصلت له بركة سيدى الأستاذ . هذا بخلاف ما كنت أراه فى البيت وقد حدثنى من الإخوان بمثل ذلك فى كل عام .

ومنها أنه كانت تقام الحفلات ويجتمع فيها الجموع الكثيرة وربما جمعت أخلاط الناس ويحفظ الله هذا الإجتماع من الهرج الذي يحدث عادة فى المجتمعات الأخرى ولا تنافر ولا كلام غير إنتظار خروج سيدى الأستاذ بينهم ليتبركوا به ويأنسوا بوجوده وعند خروجه يتزاحمون كثيراً على تقبيل يده والتبرك به .

وعند استقراره تجد الكل على غاية الأدب والكمال لا يلتفتون لغير الذكر والإنشاد الذى لا يكون إلا فى التوحيد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أو النصائح أو تفسير القرآن وهم صامتون منصتون من أول الليل إلى آخره فلا ينفض المجلس إلا وقلوب المجتمعين كلهم متعلقة به تعلقاً كبيراً يتزاحمون عليه بقوة هائلة لاخذ العهود والتبرك به حتى لا يمكن منع الزحام إلا بغاية الجهد مع أنه كان إذا جلس فى المجلس لا يكلم أحداً إلا عند الحاجة . وقلبه مع الله موجه للذكر . وكان يقابل الناس بالبشر وبالدعاء لهم .

ولقد كنا مرة فى بلدة (إدكو) فى آخر أيام حياته وكان لم يذهب اليها غير هذه المرة ومكث بها ليلتين . وكان يجتمع الآلاف الكثيرة من الناس وكان يحضر منهم الكثير لأخذ

العهود فمن شدة الإزدحام على أخذ العهود كنا نأتى له بكل عشرة أشخاص وكل خمسة عشرة مرة فيأخذ عليهم العهد طائفة بعد أخرى فى مرة واحدة وكانت ليلة مشهورة مكث الإحتفال حتى صلاة الفجر فى ذكر وعبادة وإعطاء عهود والناس لا تريد أن تنفض من حوله .

ومن الأسرار التى شاهدناها أنه كان لا يوجد لص فى المجتمع فلا يفقد شئ من المجتمعين وإذا وجد كان سبحانه وتعالى يظهر أمره للناس فى الحال ويقع فى قلبه الرعب ويتزلف اليهم بالتوبة حتى يخرج وربما صدقت توبته وأخذ العهد واستقام .

ومن سره أن غالب أتباعه السالكين كانوا لا يصبرون على بعده فكانوا يذهبون إليه فى البلاد التى يكون بها وبعضهم يذهب من حيث لا يدرى كيف يصل إليه لأنه لم يكن قد طرق هذه البلاد من قبل فيهديه الله سبحانه وتعالى إلى الوصول بلا مشقة وربما يكون الغالب فى الذهاب ليلاً فيحفظه الله تعالى يذهب من غير عسر . وربما سار البعض على الإقدام مدة طويلة وهو من شدة الحب ولا يحس بأدنى تعب .

وكان البعض يذهب إليه هرباً من الأكدار فيمكث اليوم واليومين أو الأيام الكثيرة وهو فى أنس عظيم ويعود وقد ذهبت أكداره وأسبابها .

وكان البعض يذهب ولديه من المصالح شىء كثير ولكن شوقه وحبه أداه إلى زيارة الأستاذ فيذهب الليالى والأيام العديدة ويعود فيجد الأمر على أيسره والمصالح لا تتعطل .

وفى السنين الأخيرة قامت الحرب الكبيرة وأعلنت الأحكام العرفية فى البلاد المصرية وحصل منع الإجتماعات وتشديد فى عمل المجتمعات ومنع الإضاءة فى الشوارع العمومية . ولكن اجتماعات سيدى الأستاذ وأتباعه كانت تقام فى كل مكان لا تنقطع

وخصوصاً فى البنادر التى فيها المراقبة أشد . وكانت تضاء الأنوار ويحضر فى مجلسه ألاف من الناس ومن جميع الطبقات المتعلمة وغير المتعلمة ومن رجال الحكومة وغيرها .. وكان الله سبحانه وتعالى يحفظ هذا الجمع المحمدى ولا يحصل أدنى منع أو تنبيه . وكان يمر بعض رجال الأنجليز ويجلسون بالمجالس ويقومون فلا يتكلمون .

ومن الأسرار أن الأوامر العسكرية صدرت بالإكراه على التطوع للأعمال العسكرية من المصريين ومن فضل الله على أتباع سيدى الأستاذ أن الغالب لم يقهر عليها ولم يذهب منهم إلا النادر .

ومن الأسرار أيضا أن طريقته قد انتشرت انتشاراً كبيراً ودخلها جم غفير من جميع الطبقات المتعلمين وغير المتعلمين ومن مستخدمى الحكومة فى جميع المصالح من قضاة وكتبة وعمال الإدارات والمحاكم وغيرها ومن علماء الأزهر والمدرسين بالمدارس على اختلاف درجاتها . ومن المهندسين والأطباء والمحامين وأرباب الصناعات والعمد والفلاحين وغيرهم ومع هذا تجدهم إخواناً فى الله تعالى سواء . وفى اجتماعهم يقدمون بعضهم على بعض لا ينظرون فى الطاعة إلى صغير أو كبير أو صاحب أو خلافه بل تجد صاحب الجاه يعتقد فى الصغير ويسأله الدعاء ويعتقد قبوله عند الله تعالى .

ومن الأسرار أيضاً أن الزائرين يكثرون جداً فى بلاد متعددة والشخص الذى عنده سيدى الأستاذ غير مستعد لهؤلاء الناس . ولكن لاتمر الليلة حتى يكون الله قد أكرم الكل وباتوا على أتم حال وسرور عظيم سواء كانوا مجتمعين فى مكان واحد أو فى أمكنة متعددة ويصبحون على أتم نعمة .

وكان يأتى فى الحفلات بعض المعترضين ويشتدون فى الكلام وفى النقد ويسعون فى الأذى شأن مرضى القلوب مع داعى الحق فكانوا يخفقون فى مسعاهم وربما انقلب الحال

عليهم إن أصروا أولا يقومون إلا وهم تائبون سالكون الطريق بل ربما أن صاحب الإعتراض يشهد على نفسه وينطق بالحجة عليها .

وكان رضي الله عنه يعامل من يرافقه فى سياحته بغاية الرأفة والعطف والشفقة الكبيرة . وكان يؤانسهم ويباسطهم ويفرحهم ويسامرهم بالحكايات التى تضحك الثكلى ولكن لا تخرج عن موعظة فلا يقول حكاية إلا عن واقع حصل ولا تكون إلا لمناسبة مخصوصة .

وكانت تلقى بين يديه القصائد والأشعار المنظومة مدحاً فيه وكان لا يحفل بها ويمنع إلقاءها فى الغالب إلا فى بعض الأحيان إجابة لإلحاح بعض المستمعين وهو شىء كثير جداً لا يدخل تحت حصر ولكن أذكر طرفا صغيراً منها ما وقع بيدى حال كتابة هذا .

فمنها ما قاله حضرة رياض أفندى إبراهيم طه الموظف بعموم مصلحة البوسته المصرية ومن أخذ العهد عليهم .

قالها فى ٢٥ رجب سنة ١٣٣٣ هجرية

بثغر الإسكندرية وهى

أفى حبها قد يعتريك ذهول إذ النفس تصبو نحوها وتميل
ومالى أرى هذا الشحوب وذا الضنى يحل لدى أحبابها ويطول
وهل للذى جاز الطريقة نحوها شخوص لدى عليائها ووصول

وما قيمة العشاق فى الحب عندها وهل ثم كل الهائمين خليــل
فإن غرامى فى هواها أماتنــى وبت ومالى فى الحياة سبيــل
أجبنى رعاك الله أن صبابتــى تذوب لديها مهجتى وتسيــل
فياسائلى عن ذى المسائل كلهــا تصبر فإن الصبر منك قليــل
تروم وصال ما أعز نوالـــه ولكنما درب الطريق طويــل
طريق التى تهوى بعيد وقطعــه يشق على من رامه ويطــول
تزود له فى السير واحمل سلاحــه وأقدم وإلا يعتريك خمــول
تزود من التقوى ونفسك فاحمهــا من الرجس عسى الرجس عنك يزول
وحاذر من الشيطان جهدك دائمــاً فبغية هذا فى الطريق يحــول
وواظب على الطاعات حين حلولهـا فحكمتها للسيئات تــزيل
ونفسك روضها على كل صالــح فمن دانها للصالحات قليــل

واصلح بذكر الله قلبك دائماً فكم صح بالذكر الحكيم عليل
هنالك تلقى فى الطريق سهولة وتدنوا قريباً والقريب يطول
توسل لها بالهاشمى محمد نبى الهدى بالبينات رسول
نبى له فى الكون اكبر منة به صح إيمان لنا ودليل
أتانا بنور الله يشرع بيننا فنور قلباً فى الظلام يجول
أغار على الأصنام فى عرصاتها وما هى إلا أكلب وعجول
أضلت عظيم القوم قبل حقيرهم ودان لديها يفع وكهول
فهدمها ثم استقام بهديهم وآبت بهم نحو البشير عقول
وحلت بدين الشرك بعد ظهوره غوائل شتى لا تزال تغول
رأوا دينه الأمنى يضىء فآمنوا وباتوا وهم للعالمين آصول
أضاءوا الملا بالعدل بينما ترى الجهل بين المشركين يصول
وقاموا على الحسنى وآبوا لربهم وهم عندى بين الجنان نزول
عصابة دين الله صحب محمد لهم من رضا الرحمن فضل جزيل
هداهم فكانوا للحقيقة موئلاً ونار بهم للعالمين سبيل
فياصفوة الرحمن ياخير مرشد ويا من له كل القلوب تميل
ويا من له عند الكريم شفاعة تخف بها للمذنبين حمول

قصدتك أرجو أن أفرج كربتى وأنت بتفريج الكروب كفيل
تعلقت بالحسنى وأخفقت دونها وبت وقلبى بالغرام ذليـل
تعشقتها لم أدر أن منيتـى سيلحقها قبل الوصال أفـول
وقد بت حيراناً ونفسى كئيبـة وطرفى باك والفؤاد عليـل
فأرشدنى للباب أرجوك نفحـة إمامى من فى الصالحات يجول
إمام له فى النصح خير طريقة وأفضل إرشاد له مأمـول
(محمد) يهدينا سنا نفحاتـه (خليل) لكل السالكين زميل
هو البحر لكن لإقرار لنوره يعم علينا من هداه مسيـل
يعلمنا المفروض ثم يدلنـا على كل ما أوحى به التنزيـل
ويوردنا من سنة البدر موردا فننهل من أنهارها ونصـول
له نفحات إن أحاطت بسالك لحارت له عند السلوك عقـول
كريم ترى القصاد نحو رحابه وفوداً فتحظى بالمنى وتقيـل
وقور ترى بالوجه عند شهوده دلائل شتى إن ذاك جلـيل
أمين لعهد القطب غوث زمانة همام لخير الصالحين بدليـل
فياسيداً نلت الولاية والتقى وقدركم عند الإله جليـل
أضأت لنا ثغر البلاد وأصبحت منائره تزهو بكم وتطـول

وجئنا جميعاً نرتجى نفحاتكم ونشهد وجهاً بالصلاح جميل
فإن لكم عند الإله مكانـــة وأجركم عند الكريم جزيل
ولسنا نرى أنا نرد وبيننـــا خليفتكم حاد لنا ودليـــل
منار الهدى (عبد السلام) فأصله إلى المجد يعزنى للكرام سليل
له والد كان الإمام لديننـــا وقفاه سهم فى القلوب نزيل
فياسادة قدتم إلى الحق جمعنـا وهامت بكم تبغى السلوك قبيل
نروم بكم عند النبى مكانـــة ليشملنا عند المقام قبـــول
فإن مقام المصطفى خير ملجـأ وأفضل ما يرجى إليه رحيل
ترى نحوه القصاد هامت محبـة وشد إلى نحو الرحاب جديل
فمن أمه نال السعادة والعـلا ويحويه ظل بالمقام ظليـل
به سند الإسلام من بوجـوده أنارت به الدنيا وعم شمـول
توسل به فى كل وقت ولمحـة لتحظى بوصل قليـــل
فإن رسول الله خير وسيلـة وأكرم من يرجى لديه قبـول
أجرنى رسول الله إنك شافعـى بيوم يحير أمره ويهـول

وقال الأستاذ (الشيخ عبد الخالق المسيرى)
المتخرج من مدرسة دار العلوم والمدرس الآن بمدرسة كفر الشيخ

أهلاً بطلعة وجهك الغـراء يابدر تم فى جبين سمـاء
يا شمس مجد بين أفلاك العلا وعميد قوم فى أجل قبـاء
يا فرقدا كل الكواكب دونــه ومنازل الأفلاك والجـوزاء
يا من إذا قصد الأديب مديحـه عى الأديب ومصقع الخطباء
مما يصاغ المدح يارب العـلا أبجوهر أم درة عصمــاء
أن شهوك بعناصر ألدنيا فـذا من عادة التشبيه فى الشعراء
لو أنصفت مدحتك أملاك السما يا بهجة الإصباح والأمساء
يا مركز الفلك المدار وسعـده وفريدة الخضراء والغبـراء
ظهرت طريق الهدى منك بحجـة لمعاء أو بدلالة بيضــاء
من مشرق الدنيا لا قصى غربها يا من حويت طبائع الكرمـاء
أحكمت معيار الفضائل بالتقــى نطقت بذلك أصدق الأنبيـاء
يا قائداً كل الأنام جنـــوده يمشون طوع الأمـر والآراء
يمشون حيث رسمت معتدلى الخطا متتبعين الخطو باستحيـاء
لا يلتوون ليمنة أو يســرة إلا لدفع مكايد الأعـداء

فكانهم جيش الغزاة لنصرة ال دين الحنيف براية حمـراء
للغزو صاروا تابعين محمداً سبط الخليل أخى العلا الوضاء
فإذا عزمت على الفتوح رأيتهم هبوا الخوض معامع الهيجاء
ما سيفهم الفتح غير (مسابح) مثل السيوف تضىء فى الظلماء
وسلاحهم بالذكر ماضى مرهف شهروا السلاح بفطنة وذكـاء
فأمد هذا الجيش من نور التقى وامنحهم كرماً أتم رضــاء
إنا لنعلم ما حبوت من الهـدى علم البنين برأفة الآبــاء
لولا الدموع تنم عن سرى الهوى وتذيع سرا جل عن إفشــاء
لرأيتنا نبكى نواك بأدمــع حرا تبوح بمضمر الأحشـاء
لكن ضننا بالهوى وبسـره حتى نؤوب من الهوى بجزاء
قد غبت عنا حقبة كنا بهـا كابن السبيل بليلة ليــلاء
وعدت بنا بعض الخطوب وإنما من خوف بأسك أصبحت كهباء
فأنزل عرينك مكرماً ومعظما واحم الحى بعزيمة ومضـاء
لازلت فى عز على هام العلا حتى تعيش مجملاً بـرواء
فلأنت أجدر بالبقا طول المدى والفخر والتيسار والنعمـاء
هذا ومدحك فوق ما أنشدتـه بعد السماء عن الثرى والمـاء

وقال السيد الشريف (الشيخ عبد الغفار على الشرقاوى البلقاسى)
أحد أتباع الأستاذ حين شرف بلدتهم

تبارك الله ما أبهاك من قمـــر تحن روحى إلى رؤياك مع بصرى
ما الشمس وقت ضحاها أن ظهرت لنا فى حلة الحسن نحكى بهجة الصور
تهدى نفائس أنفاس وتخطـف أر واح العباد بأسنى مشهد عطـر
أهديك بالنفس بل بالروح ياأملـى يالب قلبى وياسرى ومدخـر
سبحانك الله ما هذا من البشـر لكنه مالك قد جاء للبشـر
محجب عن العيون الواصلين فهـل يدنو إليه جهول فاقد البصـر
يانفس إن تصلحى وقتاً لسدتـه لكن عسى توجد الأشيا على قدر
هذا الخليل الذى نادى الزمان بـه فجاء كل خطير أى معتـذر
جلت محاسنه عن كل ما وصفـوا فكل ما وصفوا من قطرة المطر
فكيف وهو وحيد الدهر مفـرده والحال يغنيك مرآه عن الخبـر
لام العواذل لا والله مانظـروا تالله ما شهدوا شيئاً من الأثـر
فهو الذى قد حباه المصطفى رتبـاً فضلاً من الله لا بالجد والسهـر
علماً وحلماً وتوفيقاً ومكرمـة وحسن حال مع التسليم للقـدر
ورحمة ورجاء للأنام كـذا مزيد شكر وإكراماً لذى عسـر

هذا هو القطب هذا الشمس طالعة نوراً وعلماً وأعمالا لمفتخــر
فانظر خليلى لمسكين غدا قلقـا حليف وجد سقيما دائم الفكــر
وامنحه من مدد الأنوار ما علمت كل الخليقة من جن ومن بشــر
به توسلت للرحمن فى كـرب قد أوقعت مهجتى فى لجة الخطـر
وبت فى شدة لم تدر غايتهــا مقلب القلب والأعضاء فى كـدر
ولم أجد غير مرفوع المقام عزيـ ز الجاه مولى الندى فى البدو والحضر
مشهور آلائه كم أنقذت مهجـاً عن مبهم الخطب والأغيار وهو حرى
وحسن أخلاقه فى الكون قد جمعت عليه مؤتلفاً للروح والبصــر
فارحم ضعيفاً من الآمال ياسندى بالمصطفى المجتبى المختار من مضر
صلى عليه إله العرش ما سجعت ورقاء فوق غصون البان فى الشجر
والال والصحب ما شمس الضحى طلعت وزينت قامة الأغصان بالزهر

وقال حضرة (رياض أفندى طه) فى سنة ١٣٣٤ بثغر الإسكندرية أيضا

أفى حب من أهوى على تلـوم ... رويدك لوم العاذلين عقيـم
تلوم وما تدرى بأن صبابتـى ... أذابت فؤاداً بالحبيب يهيـم
وكل نعيمى أن أموت بحبهـا ... فأحيا حياة فى النعيم تـدوم
فموتى بها كل السعادة عندمـا ... أزف لها عهد الوفا وأقيـم
ومن لم يمت فى حب من هو عاشق ... فقد عاش ميت القلب وهو سقيم
فإن كنت لم تدرى المحبة والهوى ... فجرب وما كل العلوم علـوم
عهدت أناساً أطالوا ملامتـى ... فلما دنوا قالوا الجهول يلـوم
رأوا حسنها أبهى من الشمس والضحى ... يحيط بها عند السهود نجـوم
فتاهو بحصن لو تجلت صفاتـه ... على جبل لا ندك منه رسـوم
وطاف عليهم كأسها وشرابهـا ... وطارت بلب الشرب وهى تحوم
أفى حب ذات الله لوم على أمرئ ... تجلت عليه الذات وهو عديـم
فكف ملاماً يا عذولى فإننـى ... على حبها طول الحياة مقيـم
نشأت بها صبا فتنت بحبهـا ... فإن مر ذكراها على أهيـم

لها خر موسى حين شاهـد ودكت أصول الطور وهو عظيم
وفى حبها وفى الخليل بعهده وقام إلى ذبح الذبيح يـروم
ونجته من نار تلظى سعيرها وردت لقلب الكفارين سهـوم
ومن حسنها وفت ليوسف حسنه وردت إليه الأهل وهو كريـم
وأوحت إلى العذراء أن نجيبها سيصبح هاد للورى ويـدوم
وصانته من صلب وشبه غيره وبات لدى العلياء ثم يقيـم
ومنت على الأكوان حين ضلالها ما أحاطت بالحياة غيـوم
ببعثة فخر الأنبياء محمـد نبى الهدى بالمؤمنين رحيـم
نبى به الأكوان فازت وأشرقت وأطرب للأرواح منه قـدوم
أتانا ونار الشرك تلتهم الـورى وظلم دعاة المشركين عظيـم
يعدون وأد البنت عقلا وحكمـة وهذا صنيع للطغاه عقيـم
وقد نحتوا الأحجار آلهة لهـم وما تنفع الأحجار وهى رسـوم
يجيئون بالقربان حول بنائهـا وأجز لقرباهم لظى وجحيـم
وطاحوا بنور العلم وانخفضوا حجى وكل بدا يرعى الحياة بهيـم
وساء بنور الدنيا وضلت رعاتهم وحاطت حياة العالمين همـوم
فلما أراد الله إذهاب ضرهـم وأن بناء المصلحين يقـوم

فأوحى إلى نور الحياة وعزها شرائع فيها للعباد نعيم
وضاءت به الدنيا وأشرق نوره ونور شفيع المذنبين قديم
فبلغ ما أوحى إليه مجاهداً وللعدل هبت فى الحياة نسيم
وأشرقت السمحاء وامتد نورها وبدل قول المبطلين وجوم
وأكرم بالقرآن أكرم أمة به الخير وافى للعباد عميم
وقامت على السمحاء خير صحابة تضىء لهم سبل الحياة علوم
فسنوا لنا طريق الهداية والتقى وجاز عليها ذو حجى وفهيم
ولما أقاموها أتت خلفاؤهم تذكر ما قال الألى وتقيم
فرقوا بذكر الله قلباً محجباً أظلته من شبه الحياة غيوم
وما زال هذا النور يزهو ضياؤه وينشره قطب الهداة كريم
هو القطب مولانا وقائد جمعنا أبو النور مولانا (الخليل) يدوم
(محمد) المملؤ علماً وحكمة وضىء المحيا ذو البهاء بسيم
فداوى نفوساً أسعدت بقدومه وفارقت القلب العليل كلوم
أفاض علينا من هداه عوارفا ونصحا به نفس المريد تقوم
وخلص أرواحا من الأسر عندما أدامت لذكر الله وهى تهيم
فخاضوا بحار الحب وانغمسوا بها وكل لما منح الحبيب كتوم

وقال حضرة الأستاذ (الشيخ سالم مطاوع)
من الكردى دقهلية الطالب بمعهد الإسكندرية بالقسم العالى
وأحد أتباع سيدى الأستاذ قالها فى ١٣٣٧

غزال اللوى بين الروع الطواسم ... يجدد من ذكرى عهود الأعاجم [١]

يجدد ذكرى الظاعنين عشية ... وأطلاؤه تعلو متون الراسم [٢]

ويختال فى ماء النعيم كأنه ... يرى الحسن وقفا فى وميض المباسم

مليك جمال ما مثيل جماله ... غنى دلال جد بين التهائم [٣]

ألا فسقاه الله ماء مدامة ... وبارك فى ريع الغوانى كاظم [٤]

لقد بعثت فى القلب من غير موعد ... عهاد الهوى تولى بشوق لهائم [٥]

وقرين أسباب التلاقى لعاشق ... رأى الخير فى التقوى وحب الأكارم

فأعرض عن عهد الغوانى بأسرها ... ومال إلى عهد الخليل (بسالم)

(محمد) المعروف بالخير والندى ... ومن بحره فى الجود دان التلاطم

ومن هو محمود الفضائل كلها ... من الجود والتقوى وكل العظائم

---

[١] اللوى رمل يعود ويلتوى – (الطواسم) – الدوارس وهو ما انمحى من أثار الديار .

[٢] – الظاعنين – المرتحلين (والإطلاه) جمع الطلا وهو ولد الظبية (والمتون) الظهر (والرواسم) الإبل .

[٣] – التهائم جمع تهامة وهى الأرض المنخفضة .

[٤] – كاظم مكان كانت تنزله العرب .

[٥] العهاد جمع عهدة وهى أول المطر . ومعنى كونها تولى بشوق أى يتجد الهوى له .

.

ولى هدى بالغيب كان مخبراً وكان بعلم الله أفضل عالـم
هو السيد الهادى إلى مهتـد هو السيد الماحى لعهد الجرائم
هو الجود وابن الجود خدنـه قديماً فلا تروى لشرعة (حاتم)[١]
تأمل هداك الله نور جبينـه تراه نقى الضوء شيخ المكـارم
بصير عليم بالأمور وذكـر غنى عن التبيان من كل ناظـم
تجارته ذكر الإله وربحـه أقوام بخبرة حـــازم
بنى المجد والتقوى وشيد صرحها وكان لدين الله خير مــلازم
تداركنا والشرع يرثى لحالـه فسرعان ما أهدى قوى الشكائم [٢]
يمينا لنعم الشيخ أضحى يمدنـا بنور رسول الله غب المظالم [٣]
تعهدنا والليل ما فيه كوكـب بهالات إلى قلب حائـم [٤]
صفا وصفت منه أسرة وجهـه فجئنا له بالثغر ثغر الأعاظـم
تسيل بنا الوديان مافى نصابنـا كهام إلى (شيخ) كثير المغانم [٥]
به الثغر أضحى دائما متهلـلا له غرر وضاءة فى العوالـم

---

[١] الخدن - الصاحب والشرعة – معناها فى الأصل الماء المورود وتستعمل فى الطريقة – والخطة (وحاتم) رجل مشهور بالكرم .
[٢] الشكائم – جمع شكيمة بمعنى العزيمة .
[٣] وغب – بمعنى بعد .
[٤] الهالات – جمع هالة – وهى الدائرة حول القمر – والحائم الظمأن .
[٥] النصاب – الأصل – والمراد به هنا القوة الداعية للمسير – والكهام – الكيل الحد وهو كتابة عن الضعف .

تبوأ عرشا للهداية فازدهـت بأنواره أرجاء تيك المعالـم
وجاءت له الأقوام تسعى لنـوره فأحياهم بالذكر خير الغنائـم
وزودها بالدين حتى تعرفـت طريقة أهل الحق من خير قادم
وصارت على التقوى وحب إلهها ورامت حمى (طه) قوى العزائم
اولئك قوم بارك الله فيهـم فهم لكلوم النفس خير المراهم [١]
رجال صفت لما اصطفت شرع ربها ومالت عن الأغيار ترجو الدائم
(لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم) مما غرسها من عهد طينة (آدم)
ولا عيب فيهم غير أن رفيقهـم سرى بالتقى حتى ارتقى للمكارم [٢]
فيا حبذا تلك الفضائل فى الـورى إذا ما بدت طيبا بكل المراسم [٣]
وما أحسن التقوى إذا ما تحققـت بأبطال ميدان الوغى والضراغم (٤)
وما أجمل الليل الذى ضم شملنـا ولاذ بشيخى فى رياض المواسم
فيا ليل طل إنا نريد إلهنـا ونرجوه غفرانا لكل الماثـم
ويا أيها الليل الذى تم بالمنـى كأن به الوقاء تشدو لهائـم
ألاعم بهذا الشيخ من عم نـوره ورتل له مدحا كسجع الحمائم [٥]

---

[١] الكلوم – جمع كلم وهو الجرح . والمراهم – جمع مرهم وهو الدواء .
[٢] ولاعيب الخ – فيه تاكيد المدح بما يشبه الذى وهو أنواع البديع .
[٣] المراسم – الطرق
الوغى – الحرب والضراغم – الأسود . وهنا تشبيه أنهم يأسرون النفس بحليتهم وتقواهم شبهوا برجال لهم صفة الحرب .
[٥] الأعم بمعنى تنعم .

فقد شرف الأرجاء شرقا ومغربا وكان على الأرواح أحكم حاكم
ومن نوره استسقت رجال عديدة وسارت إلى طه بضوء المباسم
وياليل ما أبهاك حيث جمعتنى بشيخى ولم أحفل بأقوال لائم
دعانى إلى ماكان فى معهد الصبا وقال تسلى بالديار الطواسم
(ديارك اللواتى دارهن منيعة بسمر القنا يحفظن لا بالتمائم)
فقلت له إن التقى غايه المنى وحب رجال الله خير المغانم
وأعرضت عن أقواله كلما أتى يجدد من ذكرى عهود الأعاجم

احتفاله بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم

وقد جرت عادة مولانا الأستاذ رضى الله تعالى عنه أن يقيم كل سنة احتفالاً عظيما بمولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فى شهر ربيع الأول ويستمر ثمانية أيام ويبتدى من اليوم الرابع إلى اليوم الثانى عشر فيعد لذلك رضى الله عنه سرادقا كبيراً أمام منزله يسع عدة آلاف من الإخوان وفيها تقام مجالس الذكر الكبيرة التى تستمر ليلاً ونهاراً وتتلى قصة المولد الشريف وقصائد المدح فى الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم .

وهو موسم خيرٍ عام ورحمة شاملة يشاهد فيها الإخوان كثير من البركات العامة التى تعمهم فى شؤنهم الدينية والدنيوية ففيه تشفى المرضى وتقضى الحاجات ويهتدى كثير من الناس بمبايعة شيخنا رضى الله عنه ويصلح الله حال المقصر من الإخوان فقد كنا نرى المقصر منا متكاسلاً فى الطاعة مسرفا على نفسه فإذا حل بتلك الساحة وتشرف بذلك الرحاب صار من الذاكرين الله كثيراً الحارصين على إتباع الشرع الشريف . ولذلك متى حل موعد المولد الشريف طارت أرواح الإخوان شوقا إلى النبى الكريم وحباً فيه وزادوا تعلقا بشيخهم الذى هداهم الله به إلى التمسك بالدين ومراقبة الله تعالى ومداومة الذكر فى كل وقت وتراهم يوفدون جماعات من جميع الجهات حتى يمتلئ بهم المكان على سعته وهم فرحون مستبشرون فيقابلهم مولانا رضى الله عنه بالبشر والمؤانسة وهو يسأل من حضر عمن غاب مع علمه به اظهاراً لعطفه عليهم وعنايته بهم وإذا تأخر البعض عاتبه عتاباً لطيفاً وهو أقرب إلى المؤانسة منه من اللوم لأنه به يعرف المريد حب شيخه له وعنايته بشأنه ورغبته فى حضوره وكثير من الإخوان يعرض من شؤؤنه الخاصة على شيخنا رضى الله عنه فيقبل عليه كل الإقبال ويسهل له ما يراه صعباً من أموره ويدعو له بالخير

ويشير عليه بما فيه المصلحة وقد كنا نرى بركة عرض المسائل عليه فيهون العسير وتزول هموم النفس مهما عظمت .

والمولد مجتمع كبير يسر فيه الإخوان بلقاء بعضهم بعضاً ومن كان مشوقا لرؤية صديقه أو قريبه رآه فى ذلك الإحتفال العظيم وفيه يحصل التعاون من الإخوان الذين هم من جهات شتى فتعظم الألفة وتزداد الرابطة فيتعاونون على البر والتقوى ويجد المرء عدداً كثيراً من إخوانه يحبونه ويعطفون عليه ولايسيئوونه فى أموره وإن لم يكن ذلك مقصوداً بالذات من الأندماج فى طريق شيخنا رضى الله عنه وقل من يذهب إلى مدينة أو قرية إلا ورأى له فيها إخوانا من الواصلين على شيخه يسرون برؤيته ويهتمون بشأنه فإن كان له حاجة سعوا فى معاونته حسب استطاعتهم .

وقد يجتمع الإخوان بعضهم ببعض بلا فارق بينهم فيتساوى فى المجلس العظيم وغيره وقد ذهبت الكلفة من بينهم فترى العلماء وأولوا الثروة والجاه يجالسون من هم أقل منهم منزلة بلاغضاضة فى النفس أو شعور بامتهان لأنهم عظمت فيهم أخوة الإيمان ونمى فيهم الشعور بأن الكريم العظيم هو التقى الصالح وهم يغبطون العابد الذاكر ويتمنون لأنفسهم التوفيق لما هو فيه ويطلبون رضاه ولو كان أقل منهم فى المنزلة الدنيوية ولذلك كان الإجتماع فى تلك الساحة وسيلة لتهذيب النفوس وتقويم المعوج من الإخوان فمن حدثته نفسه بالكبر أو رأى رفعة منه على غيره فى العبادة أو الجاه ثم حضر إلى المولد الشريف رأى أكابر إخوانه وهم على جانب عظيم من التواضع والإنكسار والخوف من الله تعالى فتصلح أخلاقه وتتهذب نفسه ولذلك كان المولد مدرسة علمية لمكارم الأخلاق وقدوة حسنة لمن أراد عبادة الله تعالى والإنابة إليه .

كان رضى الله عنه يخرج فى اليوم الرابع من ابتداء افتتاح المولد وفى اليوم

الحادى عشر من الشهر فى موكب كبير جدا يجمع الإخوان الخليلية خاصة فيتشابكون فى صفين طويلين يمتدان امتداد عظيما وسيدى الأستاذ فى صدره والإخوان فى وسطه فلا يجد الأجنبى سبيلا إلى الدخول فى وسطهم إلا للذكر وتراهم يسيرون بالذكر وبمدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ويكون هذا شعار كبير للإحتفال بالنبى صلى الله عليه وسلم وبمولده .

ولقد أخبرنا رضى الله تعالى عنه أنه كان يترك بعض خلفائه يخرجون فى الموكب مجاراة لعادة أرباب الطرق يمرون معهم مع موكب الحكومة ويعودون غير أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يقول له لماذا لاتخرج بالموكب الخاص بنا قال فعزمت على ذلك ولكن مع الثانى فجاء رجل وقال لى إن النبى صلى الله عليه وسلم قال لى فى الرؤية أن أخبرك لتخرج فى الموكب قال فسألته عن شمائل النبى صلى الله عليه وسلم لأتأكد من الأمر فأخبرنى عنها قال وجاء ثان فأخبرنى أيضاً بذلك قال فقوى عزمى والتزمت أن أقوم وأخرج فى الموكب . وكان ذلك كل عام وصار يزداد الموكب رونقاً عاما فعاما وهو عليه من الخشوع والرهبة وليس به شئ يخالف الشرع مطلقا وإذا به من الأنس مالا يكيف . وكنا نعود مع سيدى الأستاذ بنفحات عظيمة وإنشراح كبير وهمة قوية على الذكر .

وكان رضى الله عنه يقوم بإطعام الزائرين جميعهم من بيته ويجدون فى الطعام لذة عظيمة وبركة كبيرة مع الرغبة الشديدة فى الأكل حتى أن الغالب كان لو استدام على الأكل فى كل ساعة يأكل برغبة ولايشعر إلا بالبركة والنشاط .

وكان بعض الزائرين الذى لم يسبق لهم الحضور والأكل فى هذا المجتمع يعزم على أن يأكل فى خارج المولد فيحصل له عسر وتكدير وإذا عاد وأكل يذهب الكدر ويحصل له السرور فلا يعود يأكل فى غير بيت سيدى الأستاذ مطلقاً . ولازال هذا

الحال إلى الأن أدامه الله وأبقاه إلى يوم الدين .

وكان فى الأيام الأخيرة فى سنين الحرب يمنعون الإحتفال بالمولد ليلاً وكنا نقول له أن الحكومة تعارضنا فكان يقول لابد من عمله على بركة الله وللبيت رب يحميه وكان يقام الإحتفال فلا يكون فى الزقازيق احتفال غيره ولايمكن لأحد أن يعارضه مطلقاً .

ولقد زار هذا الإحتفال سعادة مدير الشرقية عام ١٣٣٥ وأعجب به وبالتزامه أوامر الشرع وأدابه وكثرة الإجتماع واستمع الإلهام واختبر قائليه حتى طرب كثيراً وكان معه جملة من الموظفين من قضاة المحاكم ورجال البوليس وغيرهم .

وكان يزوره فى كل عام موظفو الحكومة وقضاة المحاكم الأهلية والشرعية ويستمعون فيه الذكر والمنشدين والكلام العالى من التوحيد وتفسير القرآن ومدح النبى صلى الله عليه وسلم وقصة المولد النبوية . وبالجملة فإن هذا الموسم من أعظم مواسم العبادة وفيه جملة مزايا عظيمة ولازال على هذا الحال إلى الآن أدامه الله وأبقاه على هذا المنوال إلى يوم الدين .

الخلفاء وآدابهم

وكان شيخنا رضى الله تعالى عنه يأمر بعض أتباعه الذين يرى فيهم الكمال والصلاح بتلقين الذكر والمبايعة له بالخلافة والإرشاد فيدعون الناس للخير ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فكانوا يقومون بالأمر امتثالا لأمره ويذهبون إلى البلاد التى يأمرهم بالتوجه اليها فكانوا يلاحظون كمالات الأستاذ رضى الله عنه وآدابه وأوامره ويأمرون بها ويعرفون المريدين به وبمكانه ولا يجعلون لأنفسهم يدا مع يده ولامقاما كمقامه . ولايتصدرون للمشيخة ولا ينسبون لهم أتباعاً أو مريدين بل يعرفون

ويتحققون أن الإتباع إتباع الشيخ والمريدين مريدوه وأنهم جميعاً سواء إخوان فى الله فينتفعون بالمدد مع المريدين لأن مدد الأستاذ سيار يسير مع المريد أينما سار وربما أمد الله بعض المريدين بمدد عظيم فصار من المقربين .

والمريدون يعظمون هذا الخليفة الذى أخذ عليهم العهد ولقنهم الذكر ويحترمونه غاية الإحترام ويمتزجون به فتصفوا بواطنهم معه ويتعلقون به لأنه هو الواسطة الذى عرفوا الأستاذ به فلا يفضلون عليه غيره ويتأدبون معه ببركة الذكر فيتوصلون بذلك إلى الأدب مع الأستاذ الأكبر رضى الله تعالى عنه . وتراهم لايبحثون فى أحوال الخلفاء ولافى رقيهم ولا فى درجاتهم ولا فى تفضيل واحد على الثانى . فلو بدت إشارات أو كرامات أو إلهامات أو آداب من البعض إلى البعض فيردونها إلى الشيخ الأكبر وإلى سر الطريق . ولا يقولون هذا أصلح من هذا أو هذا أكبر من ذلك .

ولايتجهون لأحد من أخذوا عنه بعد الأستاذ الأكبر رضى الله عنه ويحترمون الكل خصوصا إذا كانوا قليلى الإجتماع بحضرته ويرون فى ذلك سلامة لهم ولقلوبهم وبعداً عن الأغيار وشغلا بالله دون الناس .

ورأينا من أسرار الطريق فى أحوال الخلفاء أحولاً غريبة وطرقاً فى الدعوة من غير اختيار فربما أطلق الأمر لواحد يدعو بالإشارات وللآخر فيدعو بالأحوال . والثالث بالسر فتميل إليه الناس بلا دعوة منه ولا كلام . وإنما أمده الله سبحانه وتعالى بمدد المحبة فتحبه الناس وتأخذ عنه وتعمل بعمله والله تعالى يراه ويكرمه أينما سار . وقد روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل فينادى فى أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض .

ورأينا أن الباحث فى أحوال الخلفاء والنظر إلى أعمالهم وتفضيل البعض على

البعض يوجب الجفاء . وربما لاتصلح لمثل هذا الباحث تربية إذا نقد صاحبه الذى أخذ عليه العهد فى شئ ويذهب نوره ومكانته من القلوب حتى من الأجنبى . والمخلص من هذا أنه يلزم احترام الكل وتعظيم الكل ويتجه بكليته إلى الأستاذ الأكبر لينجوا من آفات المقت والطرد .

ورأينا من آداب المأذون بالتلقين أيضاً عدم ذهابه إلى البلاد التى يذهب فيها أخوه ويلقن فيها الذكر فإن ذهب لايرضى أن يتصدر للإرشاد أو لتلقين العهد بوجوده حتى ولو قدمه أخوه حرصاً على قلوب المريدين لأنه يريد بالناس خيراً والكل فى طاعة وفى غرض واحد وهو الأمر المعروف والنهى عن المنكر وتلقين العهد وتوصيل المريد إلى الشيخ الأكبر . ومتى قام به واحد سقط عن الثانى ووجهة الأثنين هو الله تعالى (فما كان للدنيا ولو الظهور فى عمل الخير فهو من الأغيار) .

ومن آداب المأذون بالتلقين أيضاً أنه كان يتصاغر أمام أخيه فطرة فيه لايتكلفها ولايتصنعها ويستفيد منه علماً بأنه ربما فتح الله عليه فى حضرة من حضراته بعلوم تنتفع به مريديه وهو لايعلم منها شيئا .

ومن أدبه أيضا أن يعدد محاسن أخيه لإخوانه الذين تلقنوا عنه بالخير لهم ليقوى حبه فى قلوبهم لينتفعوا به وينتفع بهم . ومن فعل غير ذلك وذكر شيئا يقلل من إحترامه عندهم كان سبباً فى هلاك كثيرين وإنقطاعهم عن العمل فيكون قد فعل ضرراً لا صالحاً وهو غير المطلوب .

ومن آداب المأذون أيضاً أنه يعلم أن العطاء من الله فإذا أحس بشئ من عطاء الله خاف السلب وإزداد خوفه من الله تعالى خوف الإستدراج لأن الله تعالى لا يسلب العطية بل يسلب السر الذى أدرجه بها فيذهب نور كلامه ولا يقبل عليه

أحد كما سمعت ذلك من شيخى رضى الله عنه . فإن الكرامة لله تعالى إذا أراد أن يظهرها أظهرها على أى عبد من عبيده فلا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق سبحانه وتعالى .
والمأذوم له فى الكلام يظهر عليه نور فيؤثر كلامه فى القلوب ولو كان كلاماً عادياً . وأما من لم يؤذن له فلا يؤثر ولايلتفت إليه ولو كان مصوغاً فى أبدع قالب من البلاغة .
ولقد كنت أسمع شيخى رضى الله عنه إذا حل ببلد من البلاد التى عاهدها أحد خلفائه يمدح ذلك الخليفة ويعدد أحواله الصالحة . ويذكر عنه الكرامات والعطايا التى منحها الله أياه ويكرمه غاية الإكرام ويواليه حتى يظن الناس أنه أكبر خلفائه فيكبر فى أعينهم ويعظمونه ويتعلقون به فينتفعون به انتفاعاً كبيراً ويكثر الإجتماع عليه فتقوى رابطة المحبة والذكر ولايتشتتون .
وكان سيدى فى بعض الأحيان يأمر الخليفة أن يلقن العهد للطالبين فى حضرته ويقول الشجرة واحدة .
وإرسال الخلفاء سنة فقد مر عليك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يرسل السرايا من أصحابه يؤمر عليهم رجلاً من أصحابه من ذوى الخبرة والصلاح ليبايع له .
على أن نور الدعوة سار فى الإتباع صغيراً أو كبيراً ومدد الشيخ أيضاً يعم الجميع . فلقد كنا نجد الفتح على الكهول والشبان من تعاهدوا مع الخلفاء والمأذونين وتظهر فيهم البوادر واللوامح وطوالع الكشف والإلهام قبل أن يروا الأستاذ الأكبر فسر الأستاذ مقرون بإذن الدعوة ومدده سيار . فإذا كان سره هذا ظاهراً فيمن أخذ

على خليفته فكيف بخلفائه والحق أنهم غير محرومين إلا من نظر إلى نفسه ورأى له يداً مع يد الأستاذ أو نسب له أتباعاً أو غير ذلك من الأحوال القاطعة المنهى عنها .
وهى ربما تصدر من طبيعى القلوب ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

آداب المريدين مع الأستاذ

تراهم يجلونه ويحترمونه ويهابونه وهذه خاصية من خواص الذكر لأن كثرة الذكر تورث قوة فى القلب يدرك بها قوى الأرواح الأخرى فكل شخص بحسب حاله وإدراكه مقام شيخه. على أنهم كانوا إذا جلسوا فى حضرته يجلسونه مع الأدب ظاهراً وباطناً يعظمونه فى الظاهر ويرهبونه فى الباطن لا يعترضون على شيئ فعله مطلقاً ويؤولون ما أبهم عليهم من أحواله . على أنه رضى الله عنه كان متمسكا بظاهر الشرع ما أمكن فكان لايأتى بشئ يوجب الإعتراض عليه حتى لا يوقعهم فى الظن ولا فى التأويل .
وتراهم لا يقدمون أحدً مطلقاً عليه ولا يلتجئون لأحد من الصالحين مطلقاً لأن تعلقهم بحضرته وحبهم له وشعورهم بالمدد الواصل إليهم منه كان ينسيهم غيره فكانوا لا يحضرون مجلسا غير مجلسه ولايسمعون من سواه . على أنهم كانوا يحبون الصالحين ويتبركون بهم لكنهم كان الغالب منهم لا يزورون ولياً أو صالحا إلا بإذنه فيحصل له بركة الزيارة بسبب الأذن . وقد ذهب بعضهم إلى زيارة رجل عظيم من الأولياء فأكرمهم إكراماً عظيماً وقال لهم على غير معرفة منهم أنما أكرمتكم لمنزلة شيخكم فلا تذهبوا إلى غيره وبذلك كانوا يسقون من سره وهذا شأن الصادقين فى المعاملة لأن كثرة النظر إلى الغير وملاحظة أحوال المشايخ وتفضيل البعض على البعض يوجب تشتيت القلب ويكثر من الأخذ والنقل ويورث العمل بالرسوم فلا يصح

لمن يفعل ذلك تربية مطلقاً ولايتقدم فى السير وأنما يكون شأنه كالرحالة الذى ينقل الأخبار بدون عمل[١] على أن الغرض من مصاحبة الأستاذ هو العمل بطريق الإخلاص والسير فى الطريق التى توصل العبد إلى ربه لاقصد التبرك فقط كما يفعله بعض الناس من المقلدين الذين يظنون أن طريق الله هو التقيد برسوم أعمال القوم ظاهراً ولايفهمون من عمل الباطن شيئاً أخلص الله قلوبنا وسدد أعمالنا بالخير .

وكانوا إذا جلسوا لايتكلمون إلا بالذكر القلبى حافظى قلوبهم فى حضرته . وكان لايجلس أحد منهم وهو واقف لايجلس فى المكان المعد له ولاينام بحضرته إلا إذا أذن له وأغلظ عليه فيقبل الأمر فى محل الضرورة لكونه معه فى مكان واحد وليس غيره . وهذا إجلالاً منهم لمقامه .

وكانوا لايلحون عليه فى أمر يسألونه فيه أو يطلبون موافقتهم عليه أو يحسنون له الأمر الذى يكون فيه هواهم بل أنهم كانوا إذا سألوه فى أمر يجيب عليه فى الحال وكان جوابه هذا هو الصواب فإذا طلب منه أحد الإذن بغير ما أجاب به أول الأمر وأذن له موافقة لطلبه لايصلح ماطلب لأنه برغبة الطالب لا برغبة سيدى الأستاذ وجواب الأستاذ رضى الله عنه إنما أتى بطريق الإلهام والنظر الثاقب .

وكان لا يسافر أحد منهم ولا يتزوج ولا يفعل فعلاً من الأمور المهمة إلا بإذنه لأنهم وجدوا فى ذلك الخير والبركة .

---

[١] - قال الإمام السهرودى . قد ينفسد المريد الصادق بأهل الصلاح أكثر مما ينفسد بأهل الفساد ووجه ذلك أن أهل الفساد علم فسادهم فأخذ حذره وأهل الصلاح غره صلاحهم فمال إليهم بجنسية الصلاحية ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية حالت بينهم وبين حقيقة الصحبة لله تعالى فاكتسب من طريقهم الفتور فى الطلب والتخلف عن بلوغ الأرب فلينتبه الصادق لهذا الدقيقة ويأخذ من الصحبة أصفى الأقسام اهـ .

وكانوا لا يمشون أمامه ولا يساوون فى مشيته إلا إذا كان فى ليل أو فى طريق غير منتظم فيكون صوناً له عن مصادفة شيء ما يتضرر به أو يؤذيه .

وكانوا لا ينظرون إلى ما يفعل مع بعضهم بل كان كل واحد منهم في حال مخصوص معه فلا ينظر إلى ما يفعله مع غيره أو لم فعل كذا بفلان ولم يفعل بى . وقد شاهدنا أن من يقول لم فعل كذا يطرد ولا تصح له تربية .

وكان الكل مسلماً له القياد فيمتثل الأمر فى العبادة وغيرها فكانوا يرون في الإمتثال الخير والبركة . ولقد مر عليك أنه كان لا يأمرهم إلا بما يصلح لأمورهم الدينية والدنيوية بغير سيطرة عليهم إنما كانوا بغاية اللطف والأنس أشبه بعرض الحال إذا اقتضى الأمر ذلك لانه كان لا يتعرض لأحد فى أحواله الدنيوية إلا إذا هو عرض عليه ذلك .

وكانوا لا يبحثون فى أحواله مطلقاً من عبادة أو عادة ولا يتداخلون فى أحواله المنزلية أو الشخصية ولا يدخلون عليه مكانا يختلى فيه إلا بإذنه ومن فعل ذلك كان لا يسلم .

وكانوا لا يقدمون محبة غيره على محبته إلا الله ورسوله إذ المقصود من محبة الشيخ محبة رسول الله ومن محبة رسول الله محبة الله سبحانه وتعالى وهو المقصود بالذات ومحبة الشيخ وسيلة لهما لأنه بحبه للشيخ يحب من يحبه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يحشر المرء مع من أحب) وقال العز بن عبد السلام كل من يهوى حبيباً فمع المحبوب يحشر .

وكانوا لا يعاشرون من كان الشيخ يبغضه أو يطرده أو من كان يبغض الشيخ ولقد نقل عن السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها أنها قالت :

وإذا محبى ألاذ بمبغضى فكلاهما فيِ البغض مشتركان

وقصارى القول أنهم كانوا يتأدبو بأدبه ويأتمرون بأمره ويحفظون قلوبهم فى حضرته فيسرى إلى باطنهم سراج يقتبس من نور الشيخ رضى الله عنه فيكون كلامه فى قلب المريد ثابتاً كالحبة التى تبذر ومقاله الذى يصدر من نفائس حاله ينتقل من الشيخ إلى المريد بسر الذكر وبواسطة الصحبة وبسماع المقال .

ولا يكون ذلك إلا لمن حصر نفسه مع شيخه وانسلخ من إرادة نفسة وترك اختيارها فامتزج وارتبط بروحه وطهرت نفسه بتالف إلهى فيرتقى من ترك الإختيار مع الشيخ إلى ترك الإختيار مع الله تعالى فيتولاه ربه . وكنا نرى ذلك فيهم . أما هذه الآداب فمع أننا نجدها فيهم فطره يفطرون عليها بمجرد الإندماج فى سلك الطريق والعمل الصحيح والذكر فإننا نجد أصلها فى السنة السمحاء فقد كانت الصحابة تفعل ذلك مع النبى صلى الله عليه وسلم فاقتداؤهم بنبيهم تربية للروح على الآداب المحمدية قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق

صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفره وأجر عظيم) . وفى الحديث (من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع) .

وفى الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم .

وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه كل شئ وكان التابعون يفعلون ذلك اقتداء به وهكذا سرى العمل بطريق التلقى والأخذ من الأرواح

الصحيحة . الصادقة ولا يخفى أن تاثير الروح فى الإلقاء اقوى من العمل بطريق النقل كما هو مشاهد .

آداب المريد فى نفسه

ترى كل واحد مشغولاً بالله زاهداً ماسواه يحب ما يحبه الله تعالى ويكره كل ما نهى عنه غاضاً طرفه عن المحارم كريماً سخياً ليس للدنيا عنده قيمة لا يتوسع فى أكله أو شربه أو ملبسه أو أحواله الدنيوية بل يقتصر على قدر الكفاية فتراه رضياً بما قسم له لا يلتفت لشئ غير عمله الدنيوى فيما هو مسخر فيه للحصول على المعاش وعمله الأخروى فوق ذلك كله لأنه هو المقصود فتراه كالمسافر يأخذ عدة السفر فى سيرة إلى أن يصل إلى الجهة التى قصدها فيترك العدة وهكذا المسافر إلى الحق سبحانه وتعالى لا يشتغل بغير الضروريات .

ولا غالب عليهم أنهم يديمون الطهارة ما أمكنهم وسمعنا من الغالب أنهم لا ينامون على جنابة وأنهم لا يكشفون عورتهم إلا للضرورة ولو بخلوة .

ورأيناهم لا يطمعون فيما فى أيدى الناس ولا يفرحون لإقبال الناس عليهم ولا يغضبون لإعراضهم .

ورأيناهم يحاسبون أنفسهم على الدوام دائبين على ذكر الله تعالى سراً وجهراً بهمة ونشاط.

ورأينا بعضهم يأخذ له مجلساً مخصوصاَ سواء كان بالمسجد أو فى بيته أو مع إخوانه يذكر فيه الأسماء المأمور بذكرها من أسماء الله تعالى الخاصة بالطريق فتراه مشغولا بربه على أى حال .

وراياهم لا يأكلون إلا الحلال . وقد قال بعض الصوفية الأكل الحرام ينبت المعاصى فى القلب ويسوده .

وتراهم لا ينتظرون بذكرهم وعبادتهم ثواباً ولا فتحا وإنما يعبدون الله تعالى مخلصين بقلب وضيع نظيف فى الظاهر والباطن من الصبر والإستمرار شاكرين لا يشتغلون إلا بالذكر مع الخوف من الله تعالى لا يرى الذاكر منهم لذكره وجوداً بل يرى انه يستحق العقاب لو لا فضل الله عليه .

وتراهم يقتدون بالصالحين من إخوانهم فى الأعمال الصالحة ولا يقلدونهم فى أحوالهم الذين لا يعرفون عنها شيئا ولا يتصنعون كلاما من كلامهم لأنهم يعتقدون أن هذا يوجب المقت والطرد ويغلق باب الفتوح وإعتقادهم هذا محقق .

وتراهم يتقون الفتنة فى الدين ويتباعدون عن الجدال فيه خصوصا مع مرضى القلوب لأن المجادل لا يقتنع بأى وجه من الوجوه ولو ملأت له ما بين السماء والأرض أدلة وبراهين فأنه يصر على تقوية حجته بالبرهان والأضاليل والتهويش مع أنه لو أرجع قلبه إلى الله تعالى وحاسب نفسه معه لخشع وإقتنع فحفظا للقلب تراهم يبتعدون عنه ويتركونه إذ المقصود العمل لا المناظرة التى يقال فيها غلب فلان أو فلان .

وتراهم يسألون عن أمور الدين إذا كانوا محتاجين لذلك بدون سآمة أو حياء مهما كان الأمر حتى على أقل شئ إذ لا حياء فى الدين .

وتراهم يحافظون على بر الوالدين ولا يخالفونهم فى شئ مطلقاً إلا إذا منعوهم عن الطاعة لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وتراهم يرضون بالقليل ويرون الزهد عدم النظر إلى ما فى أيدى الغير والزهد فيما سوى الله تعالى . وتراهم يجدون ويشتغلون مع الزهد سعياً على المعاش فلا ترى

واحداً عالة على غيره من أهل بيته أو متسولا أو عالة على الناس بل يجاهد ويشتغل فيقوم بمعاشه ومعاش من تلزمه نفقته بقدر ما يعينهم على طاعة الله ورد مصائب الدهر .
وتراهم يبتعدون عن الكبائر ويشفقون منها ويتناهون عن منكر يرونه وتراهم ينفرون من فاعل الكبيرة ويخافون من الإختلاط به خوفاً على قلوبهم وربما يحصل النفور بمجرد ما يروه بدون ان يعلموا عنه شيئاً . وهذا من سر الذكر الذى أورث لهم صفاء الباطن حتى نظروا بمرآة ما تلبس به غيرهم من الكبيرة فينفروا عنه .

الغيبة

وتراهم يبتعدون عن الغيبة ويكرهون اسمها ويفرون منها فلا يذكر إنسان بمكروه فى حضرتهم . ولو حصل هذا وكانوا مجتمعين لا تطيق صدورهم ذلك وربما تفرقوا فلا يلتئم اجتماعهم إلا إن تحولوا إلى الذكر واستغفروا ربهم فيعود لهم أنسهم .
والغيبة منهى عنها شرعاً ومشدد بالوعيد عليها قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن أثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله) .
والعاملون المحبون يرون أن الغيبة توجب الغفلة عن الله تعالى وتحجب العبد عن ربه . والمغتاب لا يفتح له باب السلوك . وقد ذم بعض الإخوان فاسقاً منتهكا ممن ينكر على الشيخ فزجره الشيخ وقال له قد اغتبته فاستغفر له ماية مرة ففعل .

مجالسة النساء

وكانوا يبتعدون عن مجالسة النساء أو سماع كلامهن أو الكلام فيهن ويشفقون من ذلك ويكرهون الزانى . فإذا اضطر بعضهم إلى مجالسة امرأة من المحارم أو الأقارب كان لا يختلى معها ولا يكلمها إلا فيما ينفع فى الدين أو الدنيا بما لا يخرج عن حد الشرع وذلك ببركة الذكر وسر الطريق لأن النساء فتنه ضارة . قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم (ما تركت لكم بعدى فتنه أضر على الرجال من النساء) رواه البخارى ومسلم .

وتراهم يباعدون أنفسهم عن النظر إلى الصور الجميلة من النساء والإحداث لأن ذلك يسد باب الفتح .

الكذب

وتراهم يكرهون الكذب والكذاب لأنهم متجملون بالصدق فإذا اضطر بعضهم إلى احتيال يسوق فيه كلمة غير صحيحة لا يمكنه المقال ويظهر على وجهه ذلك فإذا كذب عليهم احد لا يفتأ أن يرى فى المجلس من يكذبه ويظهر كذبه فلا يعود إليه . ولذلك تراهم لا يَشُكون فى بعض ويأخذون الكلام منهم بالتصديق .

والكذب ممقوت لماورد فيه من كتاب الله تعالى قال الله تعالى فنجعل لعنه الله على الكاذبين . وقال تعالى . والخامسة أن لعنه الله عليه إن كان من الكاذبين . وقال تعالى . ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة .

وروى البخارى عن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أن الصدق يهدى إلى البر . وأن البر يهدى إلى الجنة وأن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً وان الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً .

الحسد

وتراهم يغبطون بعضهم بعضاً فى العبادة ويشفقون من الحسد ويحاسبون أنفسهم عليه ويكرهون الحاسد وترى القلوب تنفر منه إن وجد بينهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال العشب رواه الترمذى .

وقال فيما روى عن الزبير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم دَب إليكم داءُ الأمم قبلكم الحسد والبغضاء وهى الحالقة أما إنى لا أقول لكم تحلق الشعر ولكن تحلق الدين والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على ما تحابون به أفشوا السلام بينكم .

الحرص

وتراهم لا يحرصون على شئ من الدنيا بل أن الحريص على الدنيا أو الشرف للدنيا ينزل بمجرد الإندماج فى سلك الطريق والذكر فلا يحرص وينفق فى سبيل الله تعالى من غير كره فى نفسه بل يحبب ذلك إليه ويصبح كأنه فطرة فيه فمتى وجد انفق فى سبيل الله ولكن يحرص على الدين . أما الحرص على الدنيا فممقوت ورد به حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم (ماذئبان جائعان أُرسِلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه) اخرجه الترمذى وصححه .

ومعناه أن حرص المرء على المال والشرف مفسدة لدينه كما يفسد الذئبان الجائعان الغنم إذا أرسلا فيها ولم يمنعا منها .

الكبر

وترى ايضاً أن المتكبر بمجرد إندماجه فى الذكر يرى نفسه صغيراً ويعرف أن الكبر مذلة فيخضع لله ويضع نفسه له ويرى أنه اقل الناس فينتفع من الشيخ وتربيته وقد راينا ان من أصر على الكبر لا يستمر فى الطريق ويحجب ولا يقبل عليه أحد .

والحقيقة أن الكبر ممقوت لأن العظمة والكبرياء لله تعالى لا يشاركه فيهما احد . قال تعالى (أليس فى جهنم مثوى للمستكبرين) وقال تعالى (لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المتكبرين) وقال تعالى (سأصرف عن أياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبر ردائى والعز إزارى فمن نازعنى شيئاً منهما عذبته) أخرجه مسلم وأبو داود .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون أمثال الذر يوم القيامة يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال اخرجه الترمذى .

العجب

وترى أيضاً أن من سلك الطريق لا يرى لنفسه حالا يعجب به فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة فلا يفتخر على أحد بشئ ولو كان من ذوى الجاه أو المال أو التوفيق فى الطاعة ومن أكرمه الله تعالى منهم بتوفيق فى العبادة أو حال فيها لا يرى نفسه إلا مقصراً ولا يستحق إلا العقوبة ويخشى من مكر الله تعالى ويفر من رؤية شئ لنفسه حتى ولو كان صاحب كرامات أو كشف فإنه يختفى جداً ولا يرضى أن يظهر للناس خوفاً على نفسه من مكر الله .

ولقد رأينا كثيرا ممن وفقهم الله وسرى فيهم نور الهداية وهدى الله على يديهم من يعبد الله إذا رأى نفسه فى شئ أو ظن أن له حالاً ينعكس عليه الأمر وتنفر الناس منه فعند مايرى ذلك يلتفت لذلته ويتوب ويندم وإلا عوقب بالطرد والإنقطاع ، نعوذ الله ونسأله اللطف فيما جرت به المقادير .

آداب الإخوان وحقوق الصحبة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تحاباً رجلان فى الله تعالى إلا رفع الله لهما كرسياً فأجلسهما عليه حتى يفرغ الحساب .

وفى الحديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله . إمام عادل . وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل . ورجل قلبه معلق بالمساجد . ورجلان تحاباً فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إنى اخاف الله . ورجل تصدق

بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق بيمينه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه رواه الشيخان عن أبى هريرة

وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى رواه مسلم .

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من عباد الله أناساً ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى قالوا يارسول الله اتخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وأنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اخرجه أبو دواد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم رواه مسلم .

ومن سر الطريق أننا رأينا أول شئ يبعث فى قلب المريد حبه لإخوانه وتهافته عليهم وتألفه لهم وتتبع اجتماعهم فترى حبه من غير علة لا لشئ سوى حبه فى الله . وهذا من أقوى الأسباب لهداية الروح ورقيها وتهذيب النفس وتحضيرها واستعدادها لمعاملة الخالق سبحانه وتعالى .

فتراهم يتشوقون لبعضهم تشوقاً عظيا جداً وترى البعض إذا قابل أخاه كان منه على شوق كبير . وفى الحديث نظر الرجل لأخيه على شوق خير من إعتكاف سنة فى مسجدى هذا .

وتراهم يعظمون بعضهم بعضاً ظاهراً وباطناً بقلوب كلها إخلاص لله تعالى حاضرين وغائبين . وترى كل واحد منهم يرى نفسه دون الآخر على الدوام .

وتراهم يخدمون بعضهم بعضاً خدمة خالصة لوجهه الكريم من غير نظر إلى أجر او ثواب فلا تجد منهم من يترفع عن خدمة اخية مطلقاً مهما كبر مقامه .

ومن أدابهم أنهم لا يستحقرون أحداً منهم مطلقاً لأنهم يرون ان العاقبة خافية عنهم . والعبد لايدرى بما يختم له . وإذا رأوا عاصياً يأسفون ويخافون على أنفسهم ولا يسخطون عليه بل يدعون له . ويعتقد الواحد منهم أنه ربما كان فى علم الله أنه أعلى منه مقاماً ويشفع فيه يوم لا ينجوا إلا من أتى الله بقلب سليم .

ومن آدابهم أيضاً أن الكبير يحترم الصغير بل يحكم بأنه خير منه بإعتبار أنه أقل منه ذنباً والصغير يحكم بأنه خير منه بإعتبار أنه اقدم منه فى السير إلى الله تعالى ونال الخير والرضا بمصاحبة الأستاذ المدة الطويلة .

وترى الواحد منهم إذا قدم عليه أخوه فى مجلس تلقاه بالترحاب وطلاقة الوجه من غير تكلف ذلك مطلقاً وأجلسه فى المكان اللائق به وإذا كان فى مجلس مزدحم وجدتهم أفسحوا له المكان حتى يجلس . فكان ذلك يزيد فى تقوية المودة والألفة والرابطة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً رواه الشيخان . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى رواه الشيخان .

ومن أدابهم أن ان الشخص منهم إذا أراد أن ينادى أخاه ناداه بالتعظيم وإذا وجد أنه لا يضره المدح مدحه وأثنى عليه بما من الله عليه به بلا مبالغة لخبر إذا مدح

المؤمن فى وجهه وبالإيمان فى قلبه . فأنه متى كان مؤمناً حقاً حمد الله وشكره ودعا للمادح بخير أما إذا رأى أنه يتكبر ويعجب بنفسه فلا يمدحه ويرى الأسلم له عدم المدح فقد ورد

الشيخان عن ابى بكرة رضى الله عنه أن رجلاً ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه رجل خيراً . فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويحك قطعت عنق صاحبك بقوله مراراً إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك وحسيبه الله ولا يزكى على الله احد ا .

على أننا نرى عندهم كمال إيمان ويقين فلا يفتنون بذلك ولا تلعب بهم نفوسهم وترى أنهم يتأذون من المدح ومن رآى منهم ان اخاه يتأذى من مدحه فلا يؤذيه . وتراهم ايضاً يتصافحون عند اللقاء بنية التبرك وامتثالا لخير ، إذا تصافح المسلمان لم تفترق أكفهما حتى يغفر الله لهما . وأيضا اقتداءاً بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى البخاربعن قتاده رضى الله عنه قال قلت لأنس أكانت المصافحة فى أصحاب رسول الله قال نعم . ومع أنهم يكثرون من المصافحة إلا أنهم لا يخرجونها عن حدها الشرعى ولا يبالغون فيها لدرجة تخرجهم عن حد الأدب المطلوب أو تكون المصافحة بغير سبب فلا يتصافح أحد فى المجلس من غير حاجة ولا يقبل يد اخيه من غير لزوم والغالب فيهم حتى المسن لا يرضى بتقبيل يده .

ومن آدابهم أنه لو رأى أحد على أخيه ما يشينه شرعا فإنه يمسك لسانه عنه فلا يقدح فى عرضه ويستغفر له وينصره بأن يذكر له الأمر على الوجه الذى يمكنه تذكيره فيه بحكم الله ليبعده عنه ويتوب منه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قالوا يارسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً قال تأخذ فوق يده .

ومن آدابهم أيضاً أنهم إن سمعوا شيئاً عن أحد من إخوانهم فى غيبته ردوا

هذه الغيبة عنه ولو بلغ أحد منهم أن الغائب يتكلم فيه بشئ يترفع هو عن الكلام فيه ويدعوا له ويستغفر له ويقرأ له الفاتحة خوفاً من أمرين . الأول لتكون معامتله لله سبحانه وتعالى فلا

ينتصر لنفسه والثانى خوفاً إن تكلم فيه ووقع الصلح بعد ذلك فيتذكر ما وقع منه فيتكدر عليهما صفاء المودة والصحبة . وعلى الأخص إذا كان سبق لأحد منهما يد من صنائع المعروف على أخية فان صاحب اليد يخاف أن يجد فى قلبه منة عليه والله سبحانة وتعالى صاحب المنة والثانى يخاف أن يكافئه بالوقوع فى عرضه .

ومن صفات المحبين الذين يحبون الله أنك تراهم دائماً على الكمال فى المحبة بينهم متتبعين السنة السمحاء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبعض بغضيك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما .

وتراهم لو قدر الله على البعض الوقوع فى شئ فى حق أخيه رأيته بادر إلى الإستغفار والندم وأعتذر اليه معترفاً بذنبه مستسمحاً له طالباً قبول العذر والسماح فكان يقبل الآخر منه ذلك .

وقد ورد فى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم من أتاه أخوه متنصلا من ذنبه فليقبل إعذاره محقا كان أو كان مبطلاً فان لم يقبل لم يرد على الحوض يوم القيامة .

وتراهم على هذا الحال لا تحصل بينهم البغضاء لأنها لا تكون إلا لمظاهر الدنيا وحب الدنيا ممنوع من قلوبهم فإنها رأس كل خطيئة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغضاء والشحناء وسوء الظن فى جملة مواضع منها ما رواه البخارى عن أنس لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام

وعن أبى أيوب لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام .

وقد حث الشرع على التآلف وارتباط القلوب بعضها ببعض قال تعالى (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)

وقال تعالى (واعتصموا بحبل الله جمعيا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا)

وقال تعالى (إنما المؤمنون إخوه فاصلحوا بين اخوايكم)

وقال تعالى (ياأيها الذين أمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بلألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)

وقال تعالى (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة)

وقال تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما كسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) .

وروى الشيخان عند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه . وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعرض الأعمال كل يوم خميس واثنين فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً ً إلا

رجلاً كانت بينه وبين اخيه شحناء فقال انظروا هذين حتى يصطلحا .

وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم . المسلم أخو المسلم لا يظلمة ولايخذ له ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم .

وعلى ذكر هذه الآداب أذكر هذا التخميس الذى نظمه والدى الأستاذ العلامة العارف بالله الشيخ أحمد الحلوانى [١] غفر الله له ورضى عنه عند ما طلبه منه بعض سادات الصوفية ليقولونه فى الجمع عند إجتماع القوم فى الأذكار وسماه (البستان) وفيه حث على حفظ حقوق الصحبة وبعض آداب الطريق وهو هذا

ألا يا قوم حييتم وأعطيتم رضا الرحمن
ألا يا قوم حييتم وأسعدتم ورقيتم
ووفقتم ونجيتم وبلغتم لما شيتم
وأعطيتم رضا الرحمن

---

(١) هو حضرة الأستاذ العلامة الشيخ أحمد بن إسماعيل بن أحمد الحلوانى (الخليجى بلدا) نسبة إلى رأس الخليج من بلاد الغربية بمركز شربين المتوفى بها فى وقفة عرفات سنة ١٣٠٨ وله فيها قبريزار (الشافعى مذهبا) كان من كبار العلماء فى عصر الأستاذ الشيخ الإمبابى (الحلوانى طريقة) كان من كبار الصوفية أخذ الطريقة الحلوتية الشاذلية عن قطب عصره سيدى عمر بن جعفر الشبراوى شارح ورد سحر المتوفى سنة ١٣٠٤ هجرية المدفون ببلده شبرا زنجى من أعمال المنوفية وله فيها ضريح يزار .

ألا قد طابت النفحة بهذا الجمع والفرحة
فيا من من بالمنحه على كل أفض نفحه
من الأسرار يا حنان
ألا يا قوم مولانا بهذا الدين أحيانا
وبالطاعات حلانا وكل الخير أولانا
فادوا شكر ذا الإحسان
ألا وسلوه خير صلاه لحضرة نجل عبدالله
محمد الرفيع الجاه شفيع المذنب الأواه
منجينا من النيران
عليه ألف ألف صلاه تروى قبره وثراه
وتشمل كل من يهواه فقد شمل الورى بهداه
وقوى الدين بالبرهان
عليه ألف ألف سلام يحيى وجهه البسام
فقد أسدى لنا الإنعام وأرشدنا إلى الإسلام
وأرشفنا رحيق الحان
أبو الإسراء والمعراج سراج الجنة الوهاج

نبى الرحمة الفراج لخطب الحرب مهما هاج

وحامى حومة الميدان

محل الوحى والأحكام مؤيد ملة الإســلام

منور غيهب الأظلام بنور جماله البســام

ونور العلم والقرآن

منار الحق نور العين إمام أئمة الثقليــن

حمى الكونين والدارين أبو الزهراء والحسنين

نبى الأنبيا السلطان

فسحقاً لأمرئ هجره وخالف بعض ما امره

فذا فى زمرة الفجرة له النيران مستعـره

يقاس الويل والأحزان

وبشرى للذى تبعـه وطاوع كلما شرعــه

فذا فى روضة ينعه له الجنات متسعــه

يناغى الحور والوالدان

ويصحب ثم إخوانـا وسادات علوا شانـا

وينظر وجه مولانـا ويلقى منه رضوانــا

فيا طرباً بذا الرضوان

إلا هيا ألا ياقـــوم ألا انبعثوا وجافوا النوم

وسوموا الوصل أغلى سوم وسيروا مثل سير القوم

عسى أن تلحقوا الركبان

عسى أن تبلغوا المقصود برؤية حضرة المعبود

ووجه المصطفى المسعود بروض نعيمه المشهود

مع الأحباب والخلان

فيا أحبابنا جـدوا إلى أن يحصل القصد

هناك العز والسعـد هناك المبتغى يبـدو

هناك توارد الإحسان

ألا أنبيكم يا قـوم إذا حمتم أشد الحـوم

على أسباب فوز القوم صلاة الليل ثم الصوم

وذكر الله بالأذعان

وحفظ العهـد والآداب ومحو الكبر والإعجاب

وحسن الظن بلأصحاب وترك الفاحش العياب

وترك الأثم والعدوان

وأن تقاد للأستــاذ وتكرم من به قد لاذ

وتعطى لا تكن أخـاذ عساك تعاذ فيمن عاذ

وتحظى بالصفا فى الحان

وأن تعفو لمن أذنــب وأن تصفو لمن تصحب

وإن ترضى ولا تغضب وتحتمل الأذى الأصعب

وان لا تؤذى الإخوان

ألا ياصاح ألا يا صاح هم الإخوان كالأرواح

فكن دوماً لهم نصـاح وفيهم دع كـلام اللاح

وعشرهم على ما كان

ولا تقل الجفا أسلـم ومن ذا ياأخى يسلـم

وهل هو وحده أجـرم لعلك يا أخى أظلـم

وأنت بدأت بالطغيان

أتهجره وقد خدمــك وسابق جوده كرمـك

فرضنا انه ظلمــك أليس العفو قد لزمـك

بنص الشرع والقرآن

ألا يا صاح ألا يا صاح تنبه كى تسمى الصاح
وسامح فالسماح رباح ودع عنك الذى قد راح
وهب أن قد ولدت الآن
فمن يعفو له يعفى ومن يجفو فذا يجفى
فأخلص ودك الأصفى وسل من ربك اللطفا
لكل فتى من الإخوان
فيا ربى وديانى أغث باللطف إخوانى
وجد لجميع أخدانى ومنشيه (الحلوانى)
بخاتمة على الإيمان
يجاه المصطفى العربى أصيل الجد والحسب
حبيب الله خير نبى غياث الخلق فى الكرب
وصل عليه يارحمن

كرمات الأستاذ أبو خليل

قد كنت أريد ألا أذكر شيئاً من كرامات سيدى الأستاذ اكتفاء بأعماله وصدقه مع الله تعالى وجهاده وإكرام الله له سبحانه وتعالى وهداية الأمم على يديه حتى أصبح يقدر من تاب على يديه بالملايين ولا تزال دعوته تنتشر وطريقه زاهر بالعمل . وإكتفاء بما يظهر على أولاده وأتباعه من الفتح والعلوم والإستقامة والحب العظيم لله ورسوله والتحاب فى الله من غير علة . والقيام بلأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولكن أشار على بعض أخوانى أن أذكر شيئا مما أعرفه من كرمات سيدى الأستاذ دلالة علي عطاء الله سبحانه وتعالى وشكر للمنعم سبحانه فأجبت الأمر وأذكر طرف قليلا جدا مما كنا نراه فلا تحصر له الكرمات الظاهرة ولا الباطنة علي أن سيدى الاستاذ رضى الله عنه كان من أكبر الأقطاب في الولاية وكان له قدرة كبيرة علي تكتم حاله فكان لا يظهر ولا يتظاهر بالكرمات.... فمن كراماته رضى الله عنه ان رجلا قبطيا من القاهرة سمع به وكان عنده ولد شاب خرس لسانه مده من السنين الطويلة وكلما ذهب الى طبيب ليداويه فلا يجد له دواء حتى أعيته الحيل فجاء إلي سيدى الأستاذ بولده باكياً فقال له سيدى ولدك قد طاب من الأن وجاء بمنديل وضعه على جبهته وعضه فيها وقال له خذ ولدك واذهب به فقد شفاه الله فقام الولد مع أبيه يتكلم ويكاد الرجل يجن من الفرح . وعلى ذلك هذه الكرامة حدثنى أخى فى الله الحاج محمد اسماعيل مراد التاجر بدسوق ومن المأذونين بأخذ العهد أنه كان مع وكيل النيابة ومأمور المركز مرة وجاءت مناسبة لذكر سيدى الأستاذ وكان بالمجلس كاتب قبطى من كتاب النيابة فقال أتذكرون الشيخ أبا خليل المقيم بالزقازيق فقالوا نعم فقال هذا الرجل يصح أن يقال عنه أنه نبى فقالوا له لماذا فقال لأنه كان لى ابن صهر طالب بمدرسة الطب أصابة شلل انتهى بفقد النطق منه واستمر مدة من السنين حتى كلت حياتنا فيه ويئسنا منه وسكتنا عنه بعد العجز مع توفر الدواء ولكن بينما كنت

بنيابة الزقازيق إذ ورد لى تلغراف من صهرى والد المريض بخبرنى فيه أنه حاضر اليوم عندى ولما حضر قال لى أريد أن أتوجه إلى الشيخ أبى خليل بكفر النحال قال فتعجبت جداً فى نفسى ولكن دعتنى الحالة إلى الإمتثال شفقة على صهرى قال فذهبناً جميعاً إلى الشيخ وحكى له صهرى ما هو حاصل لإبنه وطلب منه الدعاء قال فقال له الشيخ إن ولدك قد طاب قال فاستغربت وقمت مع صهرى على عادتى غير مصدق بشئ فلم نصل إلى المنزل حتى تكلم فدهشنا قال وهو قبطى أليس من يفعل ذلك يكون نبياً .

ومن كراماته أيضاً ان ولده السيد محمد أبو خليل الكبير مرض فى إحدى رجليه وكان يذهب إلى الأطباء للتداوى حتى صرف على شفائها وقتاً كبيراً فاستمر على هذا الأمر مدة طويلة ولا يمكن شفاؤها . ولقد رأيته حضر عندنا رأس الخليج لزيارة والده وقد جاء يشكو من كثرة العلاج عند الأطباء وبينما نحن نأكل مع سيدى الأستاذ أعطى له سيدى الأستاذ لقمة وقال له كل هذه لتشفى رجلك وإتبعه بثانية وثالثة فقام بعد ذلك ولم يمض يومان إلا وقد ذهب المرض ولم يبق له أثر .

ومن كراماته رضى الله عنه أنه ذهب إلى ناحية المعصرة جهة حلوان وكان يزوره الشيخ محمود الشيخ المأذون أحد الواصلين عليه من البر الثانى وكان له المعدية التى تنقل الناس من المعصرة إلى البر الثانى ولها مرساة من خشب كلفها نحو المائة جنيه ترسو عليها المركب .

فجاءت اللصوص ونقلوها ووضعوا فيها المثقلات لترسب فى قاع البحر ليعودوا فى وقت آخر فيأخذوها . فلما جاء الشيخ محمود ولم يجدها حضر لسيدى الأستاذ مكتدراً من ضياع هذه المرساة فقال له سيدى لا تحزن وتوجه إلى مكان كذا وقس قصبات كذا وانزل فى البحر تجدها هناك ففعل فوجد المرساة وعاد مع من معه فى

شدة الفرح واهتدى بسبب ذلك أناس كثيرون أخذ عليهم العهد سيدى الأستاذ .
ومنها أن عبد المجيد أفندى عزت أحد سواقى الوابورات بالسكة الحديد المصرية من أتباعه حصل له أمر وهو سائر بالوابور أذهله عن القيام بشأن الوابور حتى تعطل ووقف من غير سبب فتنبه الأوسطى وهو مرتبك وكان قد فرط فى واجبات شرعية فنادى شيخنا وقال له ياعم أنجدنى وهو مذهول فرأى أن يداً تحرك آلة النفس والوابور قد تحرك ففطن الأوسطى وقام وأصلح أمره واستأنف السير ولاحظ الوابور حتى وصل إلى آخر محطة الوصول وهناك أصلح الوابور وذهب لسيدى ولم يخبره بهذه الحادثة فقال له سيدى كيف حالك لقد أحضرت لك الوابور بعد ضياعه فاستغرب الأوسطى واندهش وعلم أن اليد يد سيدى الأستاذ وأخبره بالقصة .

ومنها أننا كنا نزور سيدى الأستاذ فى كفر النحال عقب العيد وكان معنا الأستاذ الشيخ محمد البكرى فلما جلسنا مع سيدى وقال له ماقولك إذا قال لك رجل عظم الله أجرك فقال نقول شكر الله سعيك وبعد ذلك بنصف ساعة حضر له رسالة برقية بأن والدته قد توفيت فاستأذن فى السفر وسافر وقال له الحاضرون كلهم عظم الله أجرك .
ومنها انه كان مسافراً مع اتباعه إلى ناحية عمروس فى سفينة من كفر الزيات وكان فى زمن النيل والسفينة مقابلة لإنحدار الماء ولاهواء يسيرها ولا يمكن أن تذهب السفينة على هذا الحال إلا فى مسافة تسع ساعات كما قرر الملاحون . فبينما هم سأئرون إذ تغلب التيار على الملاحين ولعب بها فلم يمكن تسييرها حسب إرادة الراكبين وأصبحوا على شفا الغرق فهاج الراكبون وخافوا الغرق فقال لهم سيدى اجلسوا واذكروا الله وسار يذكر بهم وقال للبحر اسكن ما أنت إلا بحيرة فسكن البحر وسارت السفينة فى محل الأمان وعندها نادى الهواء وقال ياهوى بالإمالة فجاء الهواء

وسارت السفينه حتى وصلت فى مسافة أربع ساعات حتى إندهش الجميع وكان فى السفينة من لايصدق بالكرامات فأذعن وسارت هذه الكرامة مشهورة .

ونداؤه للهواء ليذهب وياتى كان كثيراً فى جملة مواطن شاهده فيها الناس كثيرون كأن الهواء كان تحت تصرفه . ففى مرة كنا فى الزقازيق فى مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى كان يقيمه فى كل عام المتقدم ذكره وكنا فى زمن الشتاء فقام الهواء حتى كاد يقطع حبال الصيوان المنصوب فقال باعلى صوته اسكن أيها الهواء فسكن فى الحال وقد كان ذلك فى جم غفير من الناس سمعوا وشاهدوا ما حصل واشرأبت أعناقهم نحو سيدى وقال له رجل ياسيدى كأنما أنت قبضت على يد حنفيه تصب فأوقفتها مرة واحدة .

ومنها أنه وهو عائد من بلدة سلامون القماش على محطتها رأوا بائعا يبيع برتقالاً واشتروا منه العد بسعر معلوم وصاروا يأخذون يفرقون على أنفسهم ويعطون لسيدى الأستاذ والبائع حافظ العدد فى نفسه الذى يحاسب عليه الناس فقال بعض الحاضرين لقد أخذنا نحو السبعين برتقاله ياسيدى فقال سيدى لا إن كل مامع البائع سبعة عدود فقط من غير مايراه فسألوا البائع فحلف أنه لم يكن معه غير هذا العدد أى خمسة وثلاثين برتقالة .

ومنها رضى الله عنه أن حضرة أحمد أفندى فهيم المعاون بمديرية الدقهلية كان فى رأسة صلعة ظاهرة فى جانب جبهته وجاء يستأذن سيدى فى الذهاب إلى طبيب يداويها فتفل عليها سيدى ومسها بيده وقال له هاهى قد طابت فاستغرب فهيم افندى ولم يقم فى آخر الجلسة إلا وقد ذهبت ووجد أثرها على جانب يد سيدى مما يلى الإبهام فزاد استغرابه لأنه تحمل المرض ونقله إليه .

ومنها أنه كان ينادى أولاده فى البلاد البعيده فيأتون إليه من ذلك أنه كان جالساً مع الشيخ عطيه الشاويش من الزقازيق وهو أخو على أفندى خليل الموظف بديوان المساحة وهو من خلفاء سيدى فقال له الشيخ عطيه من زمن لم نر أخى على فقال له هاهو الآن فى مصر هل تريد أنادى لك عليه فقال نعم فناده وهو سائر فى الشارع وقال ياعلى أفندى بصوت رفيع منخفض فسمعه على أفندى من غير أن يراه والتفت لينظر من المنادى فقال له سيدى هاهو التفت لينظر من يناديه . فكتب الشيخ عطيه لأخيه يسأله عن الحكاية فأجابه كما وقع فتحقق للشيخ عطية كلام الأستاذ .

ومنها أننى ذهبت لزيارته فمكثت عنده ثلاثة أيام وأردت الإستئذان للسفر وكانت أعمالى تسمح لى بالمكث معه أكثر من ذلك فقال لأى شئ تريد السفر قلت لأرى المنزل وأطمئن على من فيه فنظر وقال فى المنزل كذا وكذا ويعملون كذ وكذا من احوال البيت فلما عدت وجدت الحال كما أخبرنى سيدى بالضبط .

ومنها أن خادمه الشيخ محمد العتر كان قد ذهب إليه شوقاً فى أول مرة فترك أهله ووالده واقام عند سيدى ناوياً فى خدمته وكان والده يذهب لأستحضاره فلايمكنه أن يأتى به وأخيراً اجتراً على أن يكلم سيدى فى شأنه فقال له سيدى إننا لا نحجزه لدينا ولكنك قد قلت فينا كذا وكذا فى الأماكن الفلانية مع اشخاص صفتهم كذا وكذا وصار يعدد له ما كان يقول سراً مع الناس مما لا يعلمه أحد ووصف له الأماكن والحجر التى كان فيها حتى دهش وكان لم يسلك الطريق فسلكه على يد سيدى وترك ولده وأصبح من المحبين المخلصين للشيخ واتفق سيدى معه على أن يجعل لإبنه أجره كل شهر قرش صاغ يدفعه له . وكان الشيخ أحمد العتر فى عسر ففرج الله عليه من ذلك الوقت وعلم أن هذا الأجر جزيل جداً .

ومنها أنه لما أذن لى بأخذ العهود له على الناس طلب لى أجازة رسمية من

مشيخة السادة البيومية حسب المقرر فى إدارتها ومشهور إسمى بين الناس (عبد السلام) فلما وردت لى وجدتها بإسم أحمد عبد السلام فتعجبت حيث هذا اسمى الأصلى والمثبت أحمد فقط بدفاتر الميلاد . وكان والدى سمانى أحمد عبد السلام وينادينى بالثانى فى الغالب غير أن جميع الأسرة كانت تنادينى أحمد الراضى لأن المرحوم الأستاذ العلامة الشيخ محمد النشار الشربينى من أصحاب والدى ومعاصريه كان قد أسمانى بذلك فى صغرى واستمر هذا الإسم حتى حفظت القرآن وبعد ذلك كان والدى ينادينى فى الغالب بعبد السلام واشتهر هذا الإسم حتى أصبح هو العلم ولا يعلم بالإسم الأول (أحمد) إلا النادر من أفراد الأسرة وكان والدى فى صغرى يقول لى قد أسميتك أحمد على إسمى وإسم جدك لتسمى أنت كذلك ولدك باسمى [١] وتوصية أن يسمى كذلك ويوصى بذلك ليكون إسم أحمد مسلسلاً فى ذريتى تبركا باسم النبى صلى الله عليه وسلم وكانت هذه فى مذكرتى دائماً فلما وردت الأجازة باسم أحمد ولم يكن سيدى الأستاذ يعلم بذلك من قبل عرفت أن هذا من قبيل الكشف وأنه يذكرنى بعهدى مع والدى رضى الله عنهما .

ومنها أننا ذهبنا فى السياحة إلى قرية صغيرة بجوار دسونس بالبحيرة تسمى (صفر) وكان لسيدى الأستاذ أتباع دعوه فيها وكنا لم نذهب لها من قبل فلما وصلنا لم نجد استعداداً فى المحلات التى بها للراحة سوى خيمة ومحل صغير للإستقبال فتحيرت لأنى لم أجد محلا يستريح فيه سيدى الأستاذ فأخذت إخوانى ومكثنا فى

---

[١] لما ولد أول ولد ذكر أسميته محمود عبد المنعم لأمرين . الأول ليكون سمى والده الشيخ محمود الحلوانى تبركا به لأنى أحبه فوق حب الإخوه العصبية محبة الإخوة فى الله واعتقادى فيه لأنه من صغره كان مباركا ومتوجها لقلبه للعلم وطلبه وانتفع انتفاعاً عظيما بمتابعته لشيخنا رضى الله عنه فزاد حبى له لأنه نشأ على عبادة ربه . والثانى ليكون سمى المصطفى وقد سمعت والدى يقول أفضل الأسماء ما حمد وما عبد فاقتديت به وبعد أن أسميته وأرخ ميلاه أخى فى الله الأستاذ العلامة الشيخ محمد المأمون الشناوى القاضى بالمحكمة الشرعية الأن إذ قال فى تاريخه (سعد السعود لوضع محمود بدا) أذن الله ان يكون اسمه أحمد تحقيقا لكلام جده فقد قيد بدفاتر الميلاد باسم احمد عبد المنعم واستعمل هو اسمه أحمد وإشتهر بذلك مع أنى أسميت أخاه الذى رزقنى الله به بعده أحمد فاشتهر أحمد عبد المنعم بلأسم الثانى وإشتهر أخوه باسمه أحمد بارك فيهما وجعلهما من أهل الذكر واليقين إلى يوم الدين

الخيمة وكان وقت الظهيرة وتركنا سيدى الأستاذ فى محل الإستقبال مع خادمه عسى أن يستريح فقام سيدى وتوضأ ومكث يذكر الله إلى الليل : ولما غربت الشمس وجدنا الخيمة قد امتلأت بالبعوض امتلاء شديداً حتى لم يطق أحد المكوث فى الخيمة فخرجنا فراراً منه إلى الفضاء فلما جاء وقت الذكر وقفت متحيراً كثيراً كيف نجلس وكيف نذكر وكيف يكون سيدى معنا على هذا الحال وبينما أنا أفكر إذ حضر سيدى فى الخيمة فقال لى ماذا تصنع يافلان فقلت ياسيدى إن البعوض كثر جداً ولا يوجد محل غير هذا نذكر فيه . وإخواننا خرجوا يطلبون الخلاص منه فتبسم وقال لاخوف فأن البعوض يذهب حالا من هنا وأمرنا أن نبدأ بافتتاح الذكر فافتتحنا الذكر وعندها لم نجد للبعوض أثراً وكانت ليلة فيها تجليات عظيمة جداً لم أعهدها من قبل وعقب إنتهاء السهرة قمنا للراحة فى أماكن أعدت لذلك فبمجرد قيامنا أتى البعوض كأنما كان ينتظر قيام سيدى الأستاذ ويعود .. ولما ذهب سيدى للمحل المعد لنومه وراحته وجد على حيطانه شيئا كثيراً من الذباب فقال لخادمه قل له يذهب حتى ننام فقام خادمه وأذهبه فكان يخرج من باب المكان كأنما كان مسجوناً وفتح له باب السجن وانصرف كله بحالة غريبة كأنه يتبع نظاماً خاصاً فى الإنصراف من منفذ واحد مع أن العادة جرت أنه لا يخرج من النور إلى الظلام الذى كان خارج الحجرة .

هذا ولو أردنا أن نعدد الكرامات لطال بنا المقام وما أتيت على ما قدمته إلا بيانا فقط وعنواناً وإلا فهو رضى الله عنه أكبر من ذلك مع الله سبحانه وتعالى .

وهذا ما أمكن إيراده فى هذا الباب خوف الإطالة ونسأله أن يرزقنا حسن الأدب معه ويهدينا إلى الطريق المستقيم .

الباب الثانى
فنفضل الذكر وأوراد الطريق
سلسلة رجال الطريق

كان شيخنا رضى الله عنه يتعبد على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه وقد سلك طريق السادة الصوفية على طريق سيدى على البيومى رضى الله عنه فقد أخذ العهد والتلقين عن سيدى الشيخ شناوى يوسف السابق ذكره وهو أخذ عن سيدى الشيخ سيد السنباوى وهو أخذ عن سيدى الشيخ على أبو كيلة وهو أخذ عن سيدى الشيخ عبده الصغير وهو أخذ عن سيدى الشيخ محمد الصغير وهو أخذ عن سيدى الشيخ يوسف الوقاد وهو أخذ عن سيدى الشيخ بدوى المنجد وهو أخذ عن صاحب المدد العالى العلامة مربى المريدين . ومرشد السالكين . شيخ الشريعة والطريقة . ومعدن السلوك والحقيقة .

فريد عصره . ووحيد نهره . ذو الكرامات الظاهرة . وأسرار العلوم الباهرة . سيدى الشيخ على نور الدين البيومى الشافعى مذهبا الأحمدى طريقة الحلبى الشناوى الدمرداشى الخلوتى النقشبندى الشاذلى طريقة المتوفى سنة ١١٨٣ هجرية وهو أخذ العهد الموصل لسيدى أحمد البدوى عن الشي عبد الرحمن الحلبى عن والده الشيخ عبد الرحمن عن الشيخ شهاب الدين أحمد السبعى عن العلامة الشيخ شحاذة بن على العراقى عن الشيخ أحمد الشرمخى عن الشيخ ابراهيم الحبال عن الشيخ أحمد المنير عن الشيخ محمد الشناوى عن الشيخ ابراهيم الجبرتى عن الشيخ شمس الدين الخضرى عن الشيخ عبد الله السنجيدى المقيم بالمقام الأحمدى عن الشيخ عبد الله الشناوى عن الشيخ عمرالمناوى عن الشيخ جمال الدين السيوطى عن سيدى عبد الوهاب الجوهرى عن شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى شيخ مصر والشام والروم والعراق وسائر الممالك الإسلامية سيدى أحمد البدوى القطب النبوى الشريف العلوى عن

شيخ مشايخ الغرب الشيخ عبد الجليل بواسطة أخيه بدر الدين حسن الأنور عن الشيخ عبد الجليل عن الشيخ عبد الحميد عن الشيخ نور الدين عن الشيخ أبى الحسن عن الشيخ زين الدين عن الشيخ عبد الرازق الأندلسى عن الشيخ عبد القدوس عن الشيخ شمس الدين المغربى الفاسى عن الشيخ أحمد النواوى عن الشيخ حبيب العجمى عن الإمام الحسن البصرى عن الشيخ عمران بن الحصين عن الإمام ربيعة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد المرسلين وإمام المتقين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

أوراد الطريق

أمرنا رضى الله عنه بالذكر دائما ومنع من اتخاذ الأحزاب الأخرى أوراد للسالك بل حث على الذكر وعدم الغفلة وعلى جهاد النفس وخلو القلب من مشاغل

الدنيا والاستمرار على الطاعة عملا بما ورد (أفضل الأعمال أدومها وإن قل) وبما ورد أيضا (أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب بذكر الله) وخصص رضى الله عنه الذكر بالأسماء الآتية وأن تكون هى الورد الدائم بالليل والنهار عملا بعموم قوله تعالى (فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) وأن يذكر كل أسم مائة ألف مرة على الترتيب بحيث يذكر لا إله إلا الله مائة ألف مرة ثم ينتقل إلى ذكر الأسم (الله) مائة ألف مرة ثم ما بعدهما مائة ألف مرة وهكذا اسما بعد اسم حتى ينتهى من ذكر الأسماء فإذا انتهى عاد إليها مرة ثانية على الترتيب المذكور وهكذا دائما أبدا ولا يحسب العدد إلا ليلا واشترط رضى الله عنه ملاحظة معانى الأسماء حسب مالقنها وأكد ذلك أنها توجب خلوة القلب بالمذكور سبحانه وتعالى وتورث التفكير به فتنتفع الروح بأسرار الأسماء وتتداول بخواصها وتستشعر بعظمة الخالق

الأكبر من معانيها ، وقد ورد فى الحديث (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة) أى بلا تفكر

(وها هى الأسماء ومعانيها)

لا إله ألا الله	**ومعناها**	**لا معبود بحق إلا الله**
الله	**ومعناها**	**علم على الذات العلية**
هو	"	**حاضر لا يغيب**
حى	"	**دائم الحياة**
واحد	"	**لا ثانى له**
عزيز	"	**لا نظير له**
ودود	"	**كثير الود لعباده**
حق	"	**ثابت لا يزول**
قهار	"	**الذى يقهر ولا يقهر**
قيوم	"	**قائم بأسباب مخلوقاته**
وهاب	"	**كثير العطاء**
مهيمن	"	**مطلع على أفعال مخلوقاته**
باسط	"	**يبسط الرزق لعباده**

وقد قيل لنا أنه رضى الله عنه ذكر جميع الأسماء فوجد فى هذه الثلاثة عشر فتحا لأرواح المبتدئين يتدرج بهم إلى معرفة جلال الله وقهره فيخشونه . ولذا فإنه رضى الله عنه أعطى إذنا عاما بذكره تعالى بالعدد المار وبالترتيب المذكور لجميع من سلك طريقه وجعلها وردهم فلا ورد لهم خاص غير الذكر وكان بعض السالكين يطلب منه أن يأذنه بذكر اسمه تعالى (اللطيف) ومعناه مصور الشئ فى قالب ضده فكان يأذنه ولكن كان ذلك بعد أن يرى استعداده لتحمل خواص الأسماء وأسرارها بعد أن يذكر الاسماء المارة أدوارا كثيرة فلا ينبغى لأحد ذكره بدون اذن ولقد كنا نرى الخير فى اتباع ما يأمر به رضى الله عنه بدون طلب فربما كان الطلب لغاية النفس . وغاية النفس من دواعى الحجاب ولا بد عند البدء فى الذكر من قراءة الفاتحة لحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولآله وصحبه ثم لرجال السلسلة

ثم لسيدى أحمد البدوى ثم لسيدى على البيومى ثم لأستاذنا رضى الله عنه كما نقرؤها مع ذلك لشيخنا خليفته من بعده نجله سيدى الشيخ ابراهيم أبو خليل رضى الله عنه

وفى هذا المقام أى عند البدء فى الذكر يندب للذاكر أن يستحضر النبى صلى الله عليه وسلم بقلبه كأنما يذكر فى حضرته ويطلب الاستمداد منه إذ هو صلى الله عليه وسلم صاحب المدد أى السر والخير الذى هو دائم الفيض على عموم الخلق فليس بمقطوع فى وقت من الأوقات ولا ممنوع عنهم بحجاب . ثم يستحضر شيخه أيضا بقلبه ليأنس به فى الحضرة . ومعنى ذلك أن الذاكر يعلم أن شيخه ممده بروحه ناظر اليه طالما كان يذكر الله تعالى وأنه بإشراق روحه الطيبة يمنع عن قلبه خواطر السوء وعبث الشياطين . وهذا لا يلزم منه أن يرى الشيخ أو يستحضر شخصه بقلبه تخيلا كما يظن البعض فيشغل نفسه بملاحظة هذا الخيالاستحضار معنى الذكر المطلوب بل الغرض أن يأنس المريد بأن شيخه مع النبى صلى الله

عليه وسلم فى حضرة المذكور فيتأدب مع الله بحضرتهم ويحصل له الخشوع فإذا اشتغل بالحق ترك نفسه مع الحق وترك رؤية الذكر والذاكر ومحا نفسه فى حضرة المذكور الذى يراك من حيث لا تراه . والذاكر عبد احسان . والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه فأنه يراك (كما ورد فى الحديث) . ومتى جذبت الروح اليه سبحانه وتعالى فلا رؤية لغيره وكان رضى الله عنه يحث أتباعه على مداومة الذكر وتعود اللسان عليه حتى يصل إلى القلب . ومتى وصل الذكر إلى القلب تعلقت الروح به وتلذذت به فتتغذى منه أيضا فإن استغراق الوقت فى الذكر يوجب تنزل الرحمات ويوجب التعرض للنفحات الرحمانية . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لله فى دهركم نفحات فتعرضوا لها) فى خبر آخر تعرضوا لنفحات رحمة الله وتمسكه رضى الله عنه فى الذكر دون الأوراد وغيرها لما ورد فى كتاب الله تعالى من الأوامر المؤكدة

بالذكر وعدم الغفلة وما ورد فى أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنه أفضل العبادات حتى من الجهاد . وأيضا فأن الاوراد أدعية واستغاثات بخلاف الذكر فإنه ذكر محض واقرار له بالوحدانية . وقد ورد فى حديث قدسى عن الله تعالى (من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقد قال رضى الله عنه إن الذكر أفضل من كل الأوراد المنسوبة لكثير من الأولياء . وقال إنهم لم يصلوا إلا بالذكر وبعد وصولهم عملوا هذه الأوراد . فعلينا أن نسلك السبيل الذى وصلوا به وهو الذكر المحض لا أن نأخذ من فضلاتهم . وإليك بعض ما جاء فى فضل الذكر والأمر به فى كتاب الله وسنته .

آيات الأمر بالذكر والأحاديث النبوية

أمر الله سبحانه وتعالى الأنبياء والمرسلين بذكره تعالى كما ورد فى القرآن الحكيم . قال تعالى لزكريا

(واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار) وقال لموسى (اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى) وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخفية ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا)

وقال تعالى (فاذكرونى أذكركم) وقال تعالى (فأذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم) وقال تعالى (فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) وقال تعالى (فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم)

وقال تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال تعالى (واذكر ربك إذا نسيت)وقال تعالى (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) وقال تعالى (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا) وقال تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) وقال تعالى (اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) وقال تعالى (فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون)

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم

ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)

فى التحذير

وقال تعالى (ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا)

وقال تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) وقال تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)

فى الذاكرين

وقال تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا

أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله)
وقال تعالى (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض)
وقال تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت فلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون) وقال تعالى (الذين آمنوا وتطئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وقال تعالى (وبشر المخبتين الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وقال تعالى (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)

وقال تعالى (ألم يأن الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق)
وقال تعالى (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)

وأما الأحاديث النبوية فأليك بعض ما ورد

سئل رسول الله صلى عليه وسلم أى العبادة أفضل درجة عند الله يوم القيامة . قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله . قال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة وقال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل

وقال صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم

إلى سماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادى فيقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال فيقول هل رأونى فيقولون لا فيقول كيف لو رأونى فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأشد لك تسبيحا . قال فيقول فما يسألون فيقولون يسألونك الجنة فيقول هل رأوها فيقولون لا يارب فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا عليها أشد حرصاوأشد طلبا وأعظم فيها رغبة قال فمم يتعوذون فيقولون يتعوذون من النار فيقول هل رأوها فيقولون لا فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة . قال فيقول أشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال فيقول ملك منهم فيهم فلان عبد خطاء ليس منهم إذ مر لحاجة فجلس فيقول وله قد غفرت هم القوم لا يشفى جليسهم أخرجه الشيخان والترمذى.

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اخبركم بخير أعمالكم وأرفعها فى

درجاتكم وازكاها عند مليككم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله . قال ذكر الله عز وجل . أخرجه مالك والترمذى وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله عز وجل أخرجوا من النار من ذكرنى أو خافنى فى مقام) أخرجه الترمذى وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعة من ولد اسماعيل ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة العصر حتى تغرب الشمس أحب إلى من أن أعتنق أربعة) أخرجه أبو داود.

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضطجعا لا يذكر

الله فيه كانت عليه من الله تِرَة وما مشى أحد ممش لا يذكر الله فيه إلا كانت عليه من الله ترة) أخرجه أبو داود والترمذى (والترة هى التبعة) .

وعن أبى مسلم الأعز قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) أخرجه مسلم والترمذى .

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر فيه مثل الحى والميت) أخرجه الشيخان

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى (أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فأن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وإن تقرب

إلى شبرا تقربت منه ذراعا وإن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة) أخرجه الشيخان والترمذى ز

وفى رواية أخرى ولا زال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها

وعن معاوية رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم قالوا

جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن به

علينا قال آلله ما أجلسكم إلا ذلك قالوا آلله ما أجلسنا إلا ذلك قال أما أنى لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله يباهى بكم الملائكة رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى

عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه أو نفسه رواه البخارى

وفيما ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا) وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى لا ألـه إلا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن عذابى . رواه ابن عساكر عن السيدة عائشة فى الجامع الكبير وقد ورد فيما رواه الامام أحمد وغيره أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون . أى حتى يقول المنافقون كما فى رواية أو أهل الغفلة عن الذكر فى مكثرة منكم هذا أو فلان مجنون أى كالمجنون المسلوب العقل لكثرة ولوعه وشغفه وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده أن القرآن والذكر لينبتان الإيمان فى القلب كما ينبت الماء العشب رواه الديلمى

الصلاة على سيدنا محمد وفضائلها

أما الصلاة على حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أمرنا بها بالكيفية الآتية وهى (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد مافى علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله) من غير حصر بل يكثر منها ما شاء الله دائما ويتأكد أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بالصيغة الآتية عقب كل صلاة ثلاث مرات وهى اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه عدد حروف القرآن حرفا حرفا وعدد كل حرف ألفا ألفا وعدد صفوف الملائكة صفا صفا وعدد كل صف ألفا ألفا وعدد الرمال ذرة ذرة وعدد كل ذرة ألف ألف مرة عدد ما أحاط به علمك وجرى به قلمك ونفذ به حكمك فى برك وبحرك وسائر خلقك عدد

ما أحاط به علمك القديم من الواجب والجائز والمستحيل . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم مثل ذلك .

فضائل الصلاة على سيدنا محمد

وفضائل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم كثيرة جدا لا تدخل تحت حصر فقد أمرنا الله جل شأنه بها رحمة بالمؤمنين فقال سبحانه وتعالى تعليما للآمة المحمدية (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وصلاة الله سبحانه وتعالى ايصاله رحمته بمزيد التعظيم والتكريم كما يليق به من إعلاء شأن ورفع ذكره وإظهار دينه ببواهر آياته وإبقاء شريعته وانزال تحف النعيم عليه وتخصيصه بالمقام المحمود واجزال مثوبته وترقيته فى الأنوار فى والمعارف والأسرار وتشريف أمته على سائر الأمم

وأى رحمة أكبر من رحمته تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم وحفظه له ولطفه به فى الدنيا والآخرة قال تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وأما الصلاة من الملائكة وغيرهم عليه صلى الله عليه وسلم فهو من قبيل الدعاء ومعناه (اللهم اعطف على سيدنا محمد عطفك الذى يليق بمقامه منك إليه كما هو أهله) والأمر هنا للمؤمنين بالصلاة على سيدنا محمد لينالوا الثواب لأنهم محتاجون إلى تكفير السيئات ورفع الدرجات وهو صلى الله عليه وسلم واسطتهم العظمى فى كل خير فقياما بشكره ومكافأة له ينبغى الدعاء له اقتداء بالله سبحانه وتعالى وملائكته وإلا فالله تعالى أغنى الأغنياء ومنه مفاض العطاء . والنبى صلى الله عليه وسلم مستغن بصلاة ربه والملائكة عن صلاة غيرهم فتكون نية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم محبة فيه وشوقا إليه ولأنه يجب علينا شكره وإظهار شرفه وتعظيمه بأى طريق فهو أهل لذلك

علـــى أن المصـــلى عليـــه لابـــد أن ينـــال ثوابـــا عظيمـــا فقـــد أخرج أنس رضى الله عنه . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشر مرات . وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات) أخرجه النسائى .

وله فى رواية أخرى عن أبى طلحة رضى الله عنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والبشر فى وجهه قلنا إنا نرى البشر فى وجهك فقال إنه أتانى الملك فقال يامحمد إن ربك يقول أما يرضيك أن لا يصلى عليك أحد إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرا وعن أبى مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى عليه وسلم أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة أخرجه الترمذى . وله عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (البخيل من ذكرت عنده فلم يصلى على)

وعن أبى مسعود رضى الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغون أمتى السلام . أخرجه النسائي .

وفوق ذلك فأن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم تجلى القلوب وتزيدها نوراً حتى قيل إنها تغنى عن الشيخ فى الطريق . لكن قال بعض الصوفية ذلك محمول على مجرد التنوير . وأما الترقى فى درجات الولاية فلابد من الأخذ عن شيخ عارف سلك مسالك القوم .

صيغة الاستغفار وفضله

وأما الاستغفار فهو بأى صيغة كانت وإنى استغفرت بهذه الصيغة وقرأتها عليه وهى (أستغفر الله العظيم الذى لا إله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة والنجاة من النار انه هو التواب الرحيم) .

وسمعنا منه هذه الصيغة الآتية ثلاث مرات بعد

الصلاة وهى (أستغفر الله العظيم عدد حروف القرآن حرفاً حرفاً وعدد كل حرف الفاً الفاً وعدد صفوف الملائكة صفاً صفاً وعدد كل صف الفاً الفاً وعدد الرمال ذرة ذرة وعدد كل ذرة الف الف مرة عدد ما أحاط به علمك وجرى به قلمك ونفذ به حكمك فى برك وبحرك وسائر خلقك عدد ما أحاط به علمك القديم من الواجب والجائز والمستحيل اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه مثل ذلك ، وفضل الاستغفار كثيرا جداً وقد أمرنا به بما ورد فى القرآن قال تعالى (فسبح بحمد ربك واستغره إنه كان توابا) وقال تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين)

وقال تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وقال تعالى (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) .

وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لا إله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستغفر ربه كل يوم مائة مرة وعن أبى ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (يقول الله عز وجل يا ابن آدم كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفرونى أغفر لكم وكلكم فقير إلا من أغنيت فاسألونى أعطكم وكلكم ضال إلا من هديته فسلونى الهدى أهدكم ومن استغفرنى وهو يعلم أنى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم

اجتمعوا على أشقى قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من سلطانى مثل جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد فى سلطانى مثل جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم سألونى حتى تنتهى مسألة كل واحد منهم فأعطيتهم ما سألونى ما نقص ذلك مما عندى كغرز إبرة لو غمسها أحدكم فى البحر وذلك أنى جواد ما جد . عطائى كلام وعذابى كلام . إنما امرى بشئ إذ أردته أن أقول له كن فيكون رواه مسلم .

عن أبى هريرة رضى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم . رواه مسلم

وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك . يا ابن آدم لو أتيتنى بملء الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة . رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

هذا والمراد بالذكر هنا الذكر مع العلم وإقبال القلب وتفرغه عما سواه تعالى لاسيما الأدناس والمعاصى وأما مالا يتجاوز اللسان فرتبة أخرى لأن الفضائل الواردة فى الذكر إنما هى لأهل الشرف والكمال فى الدين والطهارة من الحرام فلا يظن ظان أن من أدمن على الذكر وأصر على ما شاء من شهواته وانتهك دين الله وحرماته أن يلحق بالمطهرين الأقدسين ويبلغ منازل الكاملين بكلام أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح فالعبرة بالأخلاص ومعاملة الحق بالقلب معاملة صادقة

كيفة الذكر

أما كيفية الذكر فكان يأمرنا رضى الله عنه أن نذكر الله تعالى على أى حال فى السفر والحضر والاجتماع والانفراد على وضوء أو غير وضوء فلا تتقيد بحالة نذكرعليها حتى لا نكسل وإنما الأكمل أن يكون على طهارة فقد ورد (الوضوء سلاح المؤمن)

وأن يكون ذكره سرا بينه وبين ربه وأقل الذكر أن يسمع نفسه وأكثره دون الجهر قال تعالى (واذكر ربك فى نفسك [١] تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغد و والآصال ولاتكن من الغافلين)

وذكر الاسم يكون بسكون فى آخره فلا ينونه لأن التنوين نون ساكنة تلحق الآخر لفظا وتفارقه خطا ووقفا . وتكرار الاسم مع هذه النون تغير لفظه ولا بد من العدد ولا عبرة بمن قال أُحِد العدد بالوقت فلا أعد

[١] - يؤخذ من هذا أن يكون الذكر فى نفس الانسان بينه وبين الله تعالى بالقلب مع الانفاس .

فإن هذا من دواعى الكسل والغفلة . وقد قيل لبعض الأميين من إخواننا أتعد على الله فقال إنما أعد على نفسى لأحاسبها على التقصير

مجالس الذكر وكيفيتها

أما مجالس الذكر التى تقام بين يديه وفى الحضرات فكانت تفتح بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وكنا نقرأ دلائل الخيرات وبردة الامام البوصيرى وكان يقرنا عليهما والتوسل الذى فى دلائل الخيرات وكان يسكت عنه وكنا نذكر مجتمعين صفوفا معتدلة يذكر بنا أحد الاخوان ليكون إماما للجماعة فتلاحظ حركاته فيكون الكل على حركة واحدة بلفظ واحد وصوت واحد فى آن واحد ونفس واحد وروح واحدة والكل ميل عينيه ليكون أدعى الى استحضار معنى الذكر بقلبه فتكون الجماعة مجتمعة قلوبهم على قلب رجل واحد خاشعين لله

ملاحظين المذكور ولا تزال على ذلك إلى ما شاء الله تعالى ان شاء الله . وكان يبيح التمايل يمينا وشمالا [١] لأنه يوقظ قلب الذاكر ويبعد الكسل ويزيد فى النشاط وكان يحذر من اخراج التمايل عن حده المباح وكان يكره المجلس الذى يرى خروج التمايل فيه الى التكسر والرقص واللحن فى الأسماء ويغضب لذلك ويقول انه حرام قطعا [٢]بل ربما دخل على من يفعل ذلك من غير أتباعه وأبطلهم

---

[١] - أورد الاستاذ القطب سيدى عمر بن جعفر الشبراوى فى شرحه على ورد سحر ردا على من أنكر على القوم فى التمايل الذين قالوا لم يرد بهذا نص وقالوا إنما ورد الحث على ذكر الله من غير تمايل . قال إن الحافظ أبى نعيم روى عن الفضل بن عياض قال أنه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكروا الله تعالى تمايلوا يمينا وشمالا كما تتمايل الشجرة فى الريح العاصف الى قدام ثم ترجع الى الوراء

وقد أورد الاستاذ الشهاب الحلوانى فى كتاب النبذه السنية فى طريق الخلوتيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن كخامة الزرع تقيؤها الريح مرة هنا ومرة هنا رواه البخارى

[٢] - من غلب عليه الحال والجذب وخرج عن حالة الجماعة

الذكر إن لم يذكروا ذكرا يوافق الشرع والتمايل مع حركة الركوع إظهار للخشوع كالركوع فى الصلاة والاعتدال منه متكررا فاذا كان على القدم كان مع الاهتزاز وإيماء الرأس تذللا فكان يبتدئ بالذكر جلوسا برهة ثم يقومون فيذكرون الله قياما وكان يبتدى بذكر لا إله إلا الله من جهة اليمين لأن النفس الأمارة فيها والقلب فى جهة اليسار وهو محل الأنوار والأسرار فيجعل اسم الذات عليه ليتلقى أنواره وأسراره وأن يمد ألف (لا) متوسطا أفلة حركتان ويحقق الهمزة من (إله) فلا يجعلها ياء ويفتح الهاء منه فتحة خفيفة بلا مد لا لوم عليه لكن من رأى فى نفسه سرورا ونشاطا حال الذكر غير العادة وهو فى حالة الصحو عن حركة الجماعة وهاج وقد ظن فى نفسه أن هذا حال فإنه يقع فى المهالك ويكشفه الحجب وتمقته الملائكة ويذهب نوره . وقد نقل عن بعض العارفين أنه رأى بعض المريدين وهو فى حالة سروره وهيجانه فقال له أنت فى الحضرة أو خارج عنها فإن كنت خارجها فما حصلت على شئ وان كنت داخلها فأين الأدب فقال له أتوب وتاب

وبمد الف (الله) التى قبل الهاء مدا طبيعيا ولا يحذفها خلافا لمن جوزه . وقد كان رضى الله عنه يؤكد بعدم حذف الالف وفى الحقيقة انها لم تسمع فى قراءة القرآن مطلقا ولا يحذف الهاء منه كما يقع من بعض جهال الذاكرين ويقف عليها السكون فإن ذكر الاسم (الله) حقق الهمزة وسكن هاءه حتى لا يكون قد نطق (هلا هلا) . وهو حرام وكذا يحقق حروف كل اسم وليكن آخره قال بعض الصوفية ينبغى تقدير ياء النداء عند ذكر الاسم لكن الأولى عدم التقدير لأن تقدير ياء النداء تجعل الذكر استغاثة والمقصود أن يكون الذكر ذكرا محضا خالصا لوجهه الكريم . قال تعالى (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) فالذكر هو تلاوة الاسم كما ذكره ابن عباس وتذكير القلب به والتفكر فى معانى الأسماء . ولذا كان سكون الاسم فى كل مرة مع التكرار دليلا على ذكر الاسم مفردا (وفى هذا معنى إفراده سبحانه وتعالى بالقلب

وسكونه إليه) ولو كان الذكر جملة كما يقول بعضهم فيكون الاسم ميتدأ والمعنى خبره أو يكون الاسم المنطوق به خبر المبتدأ تقديره فى القلب الله كما تقول (الله حى) أو (الله قيوم) فيكون المقدر فى القلب الله وأما فى اسم الذات العلية يكون المبتدأ مقدرا بالقلب اسم الذات والمذكور (الله) لكن الاعتبار بأن الذكر إنما هو ذكر الاسم ذكرا محضا من غير جملة أولى، قال تعالى (واذكر اسم ربك) وقال تعالى (سبح اسم ربك) وقال تعالى (وذكر اسم ربه فصلى) فالمراد من الذكر أن يكون (الله) هو شغل القلب [١]هذا وكانت الصفوف تكون كصفوف الصلاة ومن سره رضى الله عنه أن الذكر كان على هذا الاجتماع مع

---

[١] - قال بعض الصوفية أقام رجل على السطح يقرأ الاوراد بالليل فبينما هو كذلك واذا بطائر قد نزل عليه فتأمله فوجده رجل من أهل الله فقال له بما نلت هذه المرتبة فقال بذكر الله تعالى نحن أهل لا إله إلا الله نقولها بعزم وإخلاص وما أنتم يا أهل الاوراد الا كمن يطلب ابنة الملك وليس أهلا لها

ملاحظة المذكور يورث الأنس الروحى للذاكرين فيستمرون هائمين لا يريدون أن يقطعوا الذكر . وكان الذاكر بهم إذ رآهم سقوا من الاسم الأول نقلهم إلى حركة ثانية فى اسم ثان ليذوقوا شرابه ولأجل أن تهدأ حركتهم فينشطون فى الثانى وهكذا حتى يختم بهم المجلس وهم فى حالة العبادة لا يملون منها ولا يتعبون ترى عليهم جلال الذكر وجمال نورهم بين أيديهم ثم يختمون بالدعاء والفاتحة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وكنت تراهم عند ما يجلسون يشتغلون بالذكر على المسبحة [١] لشدة تعلقهم بالذكر وحبهم فى الاستمرار عليه فتراهم خاشعين يذكرون وأذكر أن بعض الناس من ذوى الوجاهة أراد أن ينظر تلاميذ سيدى الأستاذ فى مجالسهم فدخل عليهم وهم جالسون يذكرون على المسبحة لا يلوون على أحد فأخذته

[١] ـ قد قال أهل الطريق ينبغى إذا جلس القوم بعد أداء مجلس الذكر أن يشتغلوا بالذكر القلبى أو على المسبحة ولا يذهبون نور الذكر بكثرة الكلام واللفظ فأن هذا ممقوت ويحبط العمل

الرهبة وخافهم ولم يطق الصبر على مجالستهم وخرج خائفا يقول ما خوفنى ولا أرهبنى أكثر من هذا المجلس وهذا كله من سطوة الذكر ونوره وكان رضى الله عنه يبيح الانشاد على مجالس الذكر بشرط أن لا يكون للتغنى ولا للطرب وإنما يكون على حركة الذاكرين وقلب المنشد معلق بالذكر وكلامه لا يخرج عن التوحيد ومدح النبى صلى الله عليه وسلم أو النصائح وكان النشيد فى حضرته إلهاما وفى غير ذلك إما الهاما أو من كلام أهل التصوف بما يناسب المقام

أسرار الذكر ومقامات السالكين

من أسرار الذكر أن الذاكرين يتدرجون فى مقامات السلوك والأدب فتراهم يجاهدون نفوسهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الاكبر قالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله قال جهاد النفس) فتراهم متى صار العبد فى طريق العمل

لله وأخلص نيته يجاهد نفسه الأمارة بالسوء فتؤامرُه ويراجعها حتى يرحمها الله سبحانه وتعالى بالهداية قال تعالى (إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى) فأذا اهتدت أصبحت لوامة تلوم نفسها على ما مضى وتتوب إلى رشدها تطلب الغفران من الذنوب وتبوء إلى الله تعالى بنعمة الأسلام والأيمان فيرى الذاكر فى نفسه أنه كثير الذنوب فيندم ويتذلل إلى الله تعالى ويطلب العفو . وفى هذا الحال يدفع خواطر السوء بتأديب النفس ويذكرها بالذنب فتصفوا له الحال قال تعالى (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) وفى هذا ما يدل على النفس اللوامة لها منزلة عند الله عظيمة ومتى صدق العزم وأصبحت النفس روحا طيبة ألهمها الله تعالى طريق الخير وطريق الشر فتعرف التقوى من الفجور فتقوى على العبادة وتبتعد عن المعصية قال تعالى (فألهمها فجورها وتقواها) فتعرف الحق من الباطل بطريق الالهام الذى يدفعه الله تعالى فى القلب ليستنير بالمعرفة الآلهية (ومن

لم يجعل الله له نورا فما له من نور) فاذا خشى الله تعالى وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى اطمأن اليه[١] ووقف بين يديه خائفا راجيا يناجيه بباطنه وظاهره يفكر فيما هو سائر اليه فيرضى برضائه ويرجع اليه فى كل أموره فيهديه الى السبيل المستقيم قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ومتى أناب اليه وأخلص فى الرجعى كان خير الدنيا والآخرة . قال تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك) أى فى كل الأحوال واعتمدى عليه وتوكلى عليه وسلمى له الأمر (إن إلى ربك الرجعى) فاذا رجعت له فى الدنيا فترجع راضية به شديدة الحب اليه لا تعرف سواه ولا تخشى إلا إياه إذا ذُكر خشعت . واذا تجلى عليها انتعشت . فهى فى القهر والبسط لا ترجو الا هو فيرضيها برضائه عنها فتعود (مرضية) برحمته وبمحض فضله فتدخل فى عبادة القائمين على ذكره وترجع فى الأخرى مع الذين أنعم الله عليهم من

[١] - وفى الحديث - البر ما اطمأنت إليه النفس اهـالاربعين النووية

للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ومن إفاضات الذكر أنك ترى المداوم عليه منهم يبعث الله فى قلبه محبته تعالى فَيُشْغَلُ به . قال تعالى (يحبهم ويحبونه) . ومقام المحبة عظيم جدا قيل انه هو المحور الذى يدور عليه القلب فى المقامات الأخرى لأن الحب لا ينبغى أن يكون لأحد سوى الله تعالى فأنه أوجد العبد من العدم وهو الذى قومه وجعله عبدا من عبيده فأوجد له عقلا يميز به وجعل له أجلا يعيش به وهو المالك له فلا ينبغى أن يحب سواه[١]

الحب

والحب تعلق القلب بالمحبوب فيشغله حتى لا يربغيره وله لذة عند أهله والعبد متى صدق وأخلص فى محبته

---

[١] - وهذا لا ينافى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين فان حبه صلى الله عليه وسلم موصل لحب الله كما أن حب الصحابة وغيرهم من التابعين والداعين إلى الله موصل إلى حب النبى صلىالله عليه وسلم

عرف الاغيار فابتعد عنها ولازم ربه وزهد فى الدنيا وما فيها ومن فيها ورغب عنها بقلبه . قالت رابعة العدوية . محب الله لا يسكن أنينه وحنينه حتى يسكن مع محبوبه والغرض أن يكون حب الله فى قلبه وفى جميع جوارحه فلا يرى غيره . وفى الحديث القدسى (لاتسعنى السموات والأرض ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن) والحب يورث معاملة المحب للمحبوب بما يريده فلا يفعل ما يغضبه وربما أصبح المحب محبوبا فصلح له الحال ويعرف كيف يكون الكمال فى معاملة ذى الجلال سبحان من تنزه عن الكليات والجزئيات وهو العليم بالجزئيات والكليات

الإخلاص

ومن بركة الذكر أنه يورث (الاخلاص) وهو الأساس فى معاملة الله فمن عامل الله وأخلص نيته لله فاز بخير الدنيا والآخرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله

ورسوله) وقال تعالى (_ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وقال تعالى (ألا لله الدين الخالص) وقال تعالى (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله) وقد ذكر الأمام الغزالى عن مصعب بن سعد عن أبيه قال (ظن أبى أن له فضلا على من هو دونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم (إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة بصفاء دعوتهم وإخلاصهم وصلابتهم) . وأورد أيضا عن الحسن رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله تعالى الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادى) وأورد أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما من عبد مخلص لله العمل أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) والأخلاص لابد أن يكون القصد منه التجريد للقرب من الله تعالى خليا من الشوائب والعبد متى أخلص

لله تعالى أخلص للناس لأنه يراقب ربه فى إخلاصه والمخلص الذى تخلص من الأغيار وعامل الملك القهار كافأه الله تعالى مابينه وبين الناس فأن تخليص النيات أشد من جميع الأعمال وتقتضى جهادا وتوبة نصوحا

المراقبة

ومن هدايات الذكر أنه يورث مقام (المراقبة) وهى مراقبة التعظيم والجلال لذى العزة والكمال فيصير القلب مستغرقا بملاحظته منكسرا تحت هيبته تعالى فلا يجعل فيه متسعا للالتفات إلى الغير فإذا استعملت الجوارح فى المراقبة كانت جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف فاذا تحركت بالطاعات فلا تحتاج الى تدبير وينفطر القلب على العمل لله تعالى على وجه الأخلاص فيظهر عمل العبد عليه من غير أن يريد إظهاره بل يكون ممن قال بعض الصالحين رضى الله عنهم عليك بصحبة من تذكرك الله رؤيته وتقع فى قلبك هيبته يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله ثم ليراقب أن الله تعالى يرقبه وأنه رقيب عليه فوق مراقبة الحافظين الكاتبين قال تعالى (قل إن تخفوا

ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله) وقال تعالى (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) وكان بعض الصالحي يقول الناس ترى الشئ ثم ترى الله سبحانه وتعالى . ومنهم من يرى الله سبحانه عند مايرى الشئ وأنا أرى الله قبل أن أرى الشئ .

الخشوع

ومن أسرار الذكر أنه يورث مقام (الخشوع) والخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل فى القلب فيلاحظ المذكور كأنه واقف بين يديه فمن رُزِق ذلك راقب ربه ودامت عليه اللذات وأصبح خاشعا فى الذكر وفى الصلاة بل وفى خلوة لأن من موجب الخشوع معرفة العبد أن الله مطلع عليه وأنه أحاط بكل شئ علما فيعرف بأنه مهيمن عليه ورقيب عليه فى كل أحواله فيتذكره ويخشع قال تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) وقد روى عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين عاما حياء من الله تعالى وخشوعا

والخشوع يوجب التفكر ويجلب الأسرار والأنوار بكثرة الذكر . والذكر أول ما يكون باللسان ثم بالجنان ثم بالسر وربك أعلم السر وأخفى وفى الحديث (أنا جليس من ذكرنى) ومن راقب ذلك فقد خشع.

الحياء

ومن فضل الذكر أنه يورث (الحياء) من الله تعالى فيذوق الذاكر منه لذة الأيمان ويتخلق به . والحياء هو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ذات يوم (استحيوا من الله حق الحياء قال إنا نستحى يا رسول الله والحمد لله قال ليس كذلك ولكن من استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى ولـيحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء) وكان سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه كثير الحياء من الله سبحانه وتعالى حتى أنه كان إذا اغتسل يضع ثوبا على بدنه حياء من الله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عنه (إنى لأستحى من رجل تستحى منه الملائكة

فى السماء) .

الخوف والرجاء

ومن سره أيضا أنه يورث (الخوف والرجاء) . والخوف هو سبب فى الوصول الى سعادة لقاء الله فى الآخرة . ولا يحصل الا بالمحبة والأنس به فى الدنيا ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقطاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك الا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا ينقطع ذلك الا بنار الخوف من الله تعالى فالخوف هو النار المحرقة للشهوات . قال تعالى (وخافون إن كنتم مؤمنين) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من خاف الله خافه كل شئ ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شئ) والخوف إما خوف الذنوب واستكثارها والقنوط فيكون يأسا من رحمة الله وهذا منهى عنه ومحذر منه . وإما خوف مقام المولى سبحانه وتعالى رهبة من سطوته وخوفا

مـــــن عظمتـــــه فيـــــرى العبـــــد نفســـــه أنـــــه لا يصـــــلح لقربـــــه فيخاف الطرد ويقف ذليلا تحت رحمته وعفوه وهذا مطلوب ومرغوب فيه قال تعالى(ولمن خاف مقام ربه جنتان) ففالحاله الاولى يلزم أن يغلب الرجاء على الخـــــوف والرجـــــاء دواء يـــــداوى بـــــه القلـــــب فيرجعـــــه الـــــى رحمـــــة الله ولطفه إذا يئس من خوفه وقنط من رحمته قال تعالى (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمه الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) وقال تعالى (ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) والتجارة هى الايمان بالله تعالى للنجاة من العذاب قال تعالى (يأيها الذين امنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله) .

التقوى

ومن أسرارالذكرأيضا أنه يورث مقام (التقوى) فيذوق لذة الخشية من الله والتوقى من غضبه بترك مانهى الله

عنه من الكبائر والتوقى أيضا من الزلل فى مقامات السير اليه تعالى وحسن الأدب معه قال تعالى (واتقون يا أولى الألباب) وأولوا الالباب هم الذاكرون الله تعالى بلا شك بدليل قوله تعالى (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض) .

والتقوى هى ثمرة الخوف والمراقبة والخشية . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (التقوى هاهنا وكان يشير الى صدره الشريف.وقال صلىالله عليه وسلم (إن الله لاينظرالى صوركم ولا الى أموالكم وانما ينظرالى قلوبكم وأعمالكم) والتقوى هى وضع النفس فى مقامها من الله تعالى فيقف العبد ذليلا يعلم أنه عبد والله رب قادر قاهر مهيمن قيوم وفرق بين مقام العبد ومقام مولاه وخالقه

فيرى أن الله قادر على كل شئ والعبد هو العاجز عن كل شئ . يرى انه الضعيف والله هو القوى . يرى ان الله مالك كل شى وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولانشورا.وقال تعالى(ان أكرمكم عند الله أتقاكم) أى أخشاكم.وقال تعالى (يايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما)وقال تعالى (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فاليتقوا الله) وقال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) .

الصبر

ومن سر الذكر أيضا أنه يورث مقام(الصبر) والصبر هو الثبات مع الله تعالى فى حبه وعبادته والوقوف مع البلاء بحسن الأدب مع الله تعالى وتحمل المشاق والأذى فى السير اليه تعالى وحيث كانت الدنيا مزرعه الآخرة وكان لابد للمقيم فيها من اتخاذ المعدات التى تقيه فيها كالمعدات التى تلزم للمسافر . منها الأموال والأنفس

والصحة وغير ذلك . وكان من سنة الله فى خلقه إعطاء المعدات للعبد يوجدها ويعدمها كيف أراد . فمن الواجب على العبد أن يرى أن الأخذ والعطاء من الله تعالى فيرضى به ويصبر وله البشرى فى الحياة وفى الآخرة قال تعالى (ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)

وحيث كانت الهجرة إلى الله ورسوله وكان لابد للمهاجر من السير فى طريق يوصلة إلى محل هجرته والسفر لابد أن يكون مصحوبا بمشقات وتعب . فالصبر على مشقات العبادة منزلة مطلوبة وهو العدة لها قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) ولقد سمعت شيخى رضى الله عنه يقول اصبروا فى صلاة الظهر ورابطوا فى صلاة العصر

واتقوا الله فى صلاة المغرب لعلكم تفلحون بعد صلاة العشاء .

ومن الصبر أيضا الصبر على مجاهدة النفس وردها عن هواها . والصبر على الدعوة فى سبيل الله وتحمل الأذى فيها . والصبر على أحوال النفس فى المقامات فيردها فى وقت الغضب إلى الحلم ويردها عن الانتصار لها إلى مراقبة الله تعالى والتسليم له . قال تعالى (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا غلام (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك أو قال أمامك تعرَّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فإن العباد لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشئ لم يكتبه الله تعالى لك لم يقدروا على ذلك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يكتبه الله تعالى

عليك لم يقدروا على ذلك جفت الاقلام وطويت الصحف فإن استطعت أن تعمل لله تعال بالرضا فى اليقين فافعل فان لم تستطع فان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا) واعلم أن النصر على الصبر . وأن الفرج مع الكرب وإن مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين . أخرجه الترمذى .

الزهد

ومن سره أنه يورث مقام (الزهد) والزهد هو ترك حظوظ النفس كلها إلى ما هو خير منها فمن ترك الدنيا ورغب فى نعيم الآخرة فهو زاهد . وأهل الكمال يرون أن الزاهد فى كل ما سوى الله تعالى حتى الجنان ، ولا يحب إلا الله تعالى هو الزاهد المطلق . ولا يظن أن ترك المال والولد وإظهار الخشونة زهد خصوصا من أحب المدح بالزهد بل الغرض بالزهد ألا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود فربما أن الزاهد يكون لديه المال كله وفى خير من نعم الله ولكنه بعيدا عنها لا حظ لنفسه فى شئ منها فطرة يُفطَر عليها يغرسها فى قلبه حب الله تعالى فيستوى عنده المدح والذم والقليل والكثير ويكون أنسه بالله خير له

من الجنة ونعيمها فكيف بالدنيا وما فيها وقد قال الله تعالى (إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد) وقال تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤتيه منها وما له فى الاخرة من نصيب) .

وفى حديث سيدنا عمر رضى الله عنه أنه لما نزل قوله تعالى (والذين يكثرون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) . قال صلى الله عليه وسلم (تبا للدنيا تبا للدينار والدرهم) فقلنا يا رسول الله نهانا الله عن كنز الذهب فأى شئ ندخر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته)

وعـــن أبـــى ذر رضـــى الله عنـــه قـــال قـــال رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم (ليست الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة أن تكون بما فى يد الله تعالى اوثق منك بما فى يدك وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك) أخرجه الترمذى .

فالذكر يورث حب الله تعالى للعبد والحب يورث الزهد فى الدنيا . قال رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم (ازهـــد فـــى الـــدنيا يحبـــك الله وازهـــد فيمـــا فـــى أيـــدى النـــاس يحبك الناس) .

التوكل

ومن سره أنه يورث مقام (التوكل) وهو تسليم الأمور الى الله تعالى والاعتماد عليه فى كل الأحوال ومعرفته أنه هو المؤثر فى كل شئ وهو المدبر لكل شئ فلا تدبير سوى تدبيره تعالى ولا معطى سواه وهذا لا يوجب ترك الأمور وعدم اتخاذ الأسباب بل إن اتخاذ الأسباب مع التوكل من الأمور المطلوبة

شرعا فلا يصح أن يكون أمامك الأكل وأنت فى شدة الجوع ولا تمد يدك لتأكل وتقول أنا متوكل ومنتظر من يأتى فيدخل الأكل فى جوفى مسوَّى بل من الضروريات
أن تمد يدك لتأكل وهذا لا يمنع التوكل والاعتماد على الله . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعاءكم الجبال) فانظروا إلى أنه قال تغدو وتروح أى أنها تأخذ الأسباب بالغدو والرواح والله هو المعط ومن نظر إلى الكفيل سبحانه وتعالى حين اتخاذه الأسباب وإلى قدرته وحفظه كان متوكلا . قال تعالى (
وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وقال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقال تعالى (إن الله يحب
المتوكلين) . وسمعت من شيخى رضى الله عنه يقول لو بلغ العبد مقام حسن التوكل وضُرب بالسيف ما جاز فيه

الشكر

ومن سره أيضا أنه يورث مقام (الشكر) والشكر هو استعمال نعم الله تعالى فى طاعته والجوارح فيما خلقت لأجله والنظر فى إدراك حكمة الله فى خلقه فيعلم أنه تحت الحكمة ما هو مراد الله منه كالعلم بأن العين للإبصار واليد للبطش والرجل للمشى والأذن للسمع واللسان للكلام والقلب للعلم والاعتقاد ، فيستعملها فيما خلقت لأجله من طاعة الله وما يباح شرعا فلا يجعلها للاضرار لنفسه أو للناس لأن من عَلم حكمة الله فى خلقه قام بشكره قال تعالى (وسنجزى الشاكرين) وقال تعالى (فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون) ومن الشكر أخذ المال من وجهه وصرفه فى وجوهه للمأمور بها قال تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) والشكر يكون على النعمة والنعمة توجب الفرح والفرح يوجب شكر المنعم والنعم كلها من الله تعالى والشكر لا يكون إلا له قال تعالى (لإن شكرتم لأزيدنكم)

والشكر يكون بالقلب وباللسان فبالقلب دون اللسان اخلاص النية والصدق فى معاملته . وباللسان مع القلب الحمد والثناء عليه وتمجيده تعالى بما يدل عليه وعلى عظيم قدرته تعالى وعطائه ، سبحانك لا تحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وهكذا يتدرج من مقام الى مقام حتى يفنى فى حب الله تعالى ويعرف كيف يخشاه وهذه المقامات التى يطلبها أهل العرفان فلا يطلبون سواها فى الدنيا ليفوزوا بها فى الآخرة . ومن صدقت نيته مع الله تعالى وتفكر فى مصنوعاته وسلك سبيل الصواب أورثه الله هذه المقامات فتكون فطرة فيه لا يتكلفها ويصير من أولى الألباب ويكون قلبه مصقولا مستعدا للتجليات الالهية والنفحات الرحمانية متعرضا لها كما ورد فى الحديث (إن لله فى دهركم نفحات فتعرضوا لها) وفى حديث آخر (تعرضوا لنفحات رحمة الله) قال بعض الصوفية التقلب فى أطوار المقامات لعموم المحبين الذين أنابوا إلى الله وجاهدوا فيه فهداهم السبيل

وطوى بساط الأطوار لخواص المحبين وهم المحبوبون الذين اجتباهم ربهم فلا تقيدهم المقامات ولا تحبسهم لأن بواطنهم صافية لا تحتاج الى ما يصفيها قال تعالى (الله يجتبى من رسله من يشاء ويهدى اليه من ينيب ،

تنبيه

ظن قوم أن التصوف هو معرفة الآداب ودراسة الكتب فأضاعوا أعمارهم فى البحث وعبارات أهل التصوف وقلوبهم خاليه من كل أدب حقيقى فيبعدوا عن الله تعالى وهم يحسبون أنهم على شئ ومثلهم مثل العالم الذى لا يعمل بعلمه . ولذا كان ينهانا شيخنا رضى الله عنه عن القراءة فى الكتب وهو يقول من اجتهد فى عبادة الله نور الله بصيرته وعرف ما فى الكتب . ولذا كنا نرى الاخوان أميهم وعالمهم على جانب عظيم من الآداب العاليه ومعاملة الله حق المعاملة وترى العالم يتصاغر لما يرى فى نفسه من القصور

عن مجاراة عامة الأخوان فى آدابهم واخلاصهم وعبادتهم وذكرهم مع الأدب والتواضع والبعد عن العجب والرياء ولقد نرى الحكم العالية تصدر من أفواه عوام الأخوان وهم لا يتعمدون الوقوف موقف المرشد ويرون أن هذه الحكم من الأمور العادية التى ليست غريبة منهم . هذه المقامات والآداب المتقدمة تتولد فى نفس الأنسان من نفس معاملة الخالق معاملة قلبية يورثها الله سبحانه وتعالى للعبد بسر الذكر والعكوف على العبادة وهى المقصودة من علم التصوف

قال ابن خلدون فى مقدمته عند التكلم على علم التصوف ما ملخصه

هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأجلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه

الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً فى الصحابة والسلف . فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة . فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق والاقبال على العبادة اختصوا بمآخذ مدركة لهم وذلك أن الانسان بما هو إنسان إنما يتميز عن سائر الحيوان بالإدراك وادراكه نوعان . إدراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم . وإدراك للأحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضى والغضب والصبر والشكر وأمثال ذلك فالروح العاقل والمتصرف فى البدن تنشأ من إدراكات وإرادات وأحوال وهى التى يميز بها الانسان وبعضها ينشأ من بعض كما ينشأ العلم من الأدلة . والفرح والحزن عن إدراك المؤلم أو المتلذذ به . والنشاط عن الحمام . والكسل عن الأعياء . وكذلك المريد فى مجاهدته وعبادته لابد أن ينشأ له عن كل

مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدة . وتلك الحال إما أن تكون نوع عبادة فترسخ وتصير مقاماً للمريد . واما أن لا تكون عبادة وانما تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك من المقامات . و لايزال المريد يترقى من مقام إلى مقام الى أن ينتهى إلى التوحيد والمعرفة التى هى الغاية المطلوبة للسعادة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة) فالمريد لابد له من الترقى فى هذه الأطوار وأصلها كلها الطاعة والاخلاص ويتقدمها الايمان ويصاحبها وتنشأ عنها الأحوال . والصفات نتائج وثمرات ثم تنشأ عنها أخرى وأخرى الى مقام التوحيد والعرفان واذا وقع تقصير فى النتيجة أو خلل فتعلم أنه انما اتى من قبل التقصير فى الذى قبله . وكذلك فى الخواطر النفسانية والواردات القلبية . فلهذا يحتاج المريد الى محاسبة نفسه فى سائر أعماله وينظر فى حقائقها لأن حصول النتائج عن الأعمال

ضرورى وقصورها من الخلل فيها كذلك والمريد يجد ذلك بذوقه ويحاسب نفسه على أسبابه ولا يشاركهم فى ذلك الا القليل من الناس لأن الغفلة عن هذا كأنها شاملة وغاية أهل العبادات إذا لم ينتهوا إلى هذا النوع فإنهم يأتون بالطاعات مخلصة من الفقه فى الأجزاء والأمتثال وهؤلاء يبحثون عن نتائجها بالأذواق والمواجد ليعلموا أنها خالصة من التقصير أولا . فظهر أن طريقهم كلها محاسبة النفس على الأفعال والمتروك والكلام فى هذه الأذواق والمواجدالتى تحصل عن المجاهدات ثم يستقر المريد فيها مقاما ويترقى منها الى غيرها ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات فى ألفاظ تدور بينهم إذ الأوضاع اللغوية انما هى للمعانى المتعارفة فاذا عرض من المعانى ما هو غير متعارف اصطلحنا عن التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه . فإذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذى ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهى

الأحكام العامة فى العبادات والعادات والمعاملات وصنف مخصوص بالقوم فى القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام فى الأذواق والمواجد المعارضة فى طريقها وكيفية الترقى منها من ذوق إلى ذوق وشرح الاصطلاحات التى تدور بينهم فى ذلك . فلما كتبت العلوم ودونت وألفت الفقهاء فى الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة فى طريقهم . فمنهم من كتب فى الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء فى الأخذ والترك كما فعله (القشيرى) فى كتاب الرسالة والسهر وردى فى كتاب عوارف المعارف وأمثالهم وجمع (الغزالى) رحمه الله بين الأمرين فى كتاب الأحياء فدون فيه أحكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسنتهم وشرح اصطلاحاتهم فى عباراتهم وصار علم التصوف فى الملة علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها انما تتلقى من صدور الرجال كما وقع فى سائر العلوم التى دونت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول

وغيـــر ذلـــك ثـــم إن هـــذه المجاهـــدة والخلـــوة والـــذكر يتبعهـــا غالبـــا كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراك شئ منها والـــروح مـــن تلـــك العـــوالم . وســـبب هـــذا الكشـــف أن الـــروح إذا رجـــع عـــن الحس الظاهر إلى الباطن ضعف أحوال الحس وقويت أحوال الروح واشتد سلطانه وتجدد نشـوه وأعـان علـى ذلـك الـذكر فإنـه كالغـذاء لتنميـة الـروح ولا يـزال فـى نمـو ويزيـد الـــى أن يصـــير شـــهودا بعـــد أن كـــان علمـــا ويكشـــف حجـــاب الحس ويتم وجود النفس الذى لها من ذاتها وهو عين الادراك

فيتعرض حينئذ للمواهب الربانيـة والعلوم الدينيـة والفتح الآلهى

وتقـرب ذاتـه فـى تحقيـق حقيقتهـا مـن الأفـق الأعلـى أفـق الملائكة وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لأهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود مالا يدرك سـواهم وكـذلك يـدركون كثيـرا مـن الواقعـات قبـل وقوعهـا ويتصـرفون بهممهم وقوى نفوسهم فى الموجودات السفلية وتصير طوع إرادتهم

فالعظمـــــــــاء مـــــــــنهم لا يعتبـــــــــرون هـــــــــذا

الكشف ولا يتصرفون ولا يخبرون عن حقيقة شئ لم يؤمروا بالتكلم فيه بل يعدون ما وقع لهم من ذلك محنة ويتعوذون منه إذا هاجمتهم . وقد كانت الصحابة رضى الله عنهم على مثل هذه المجاهدات وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ لكنهم لم يقع لهم بها عناية .

وفى فضائل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم كثير منها وتبعهم فى ذلك أهل الطريقة ومن تبع طريقتهم من بعدهم ثم إن هذا الكشف لا يكون صحيحا كاملا عندهم إلا إذا كان ناشئا عن الاستقامة لأن الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة وإن لم يكن هناك استقامة كالسحرة والنصارى وغيرهم من المرفاضين وليس مرادنا الا الكشف الناشئ عن الاستقامة ومثاله أن المرآة الصقيلة اذا كانت محدبة أو مقعرة وحوذى بها جهة المرئى فإنه يتشكل فيه معوجا على غير صورته وأن كانت مسطحة تشكل فيها المرئى صحيحا . فالاستقامة للنفس كالانبساط للمرآة فيما يتطبع فيها من الأحوال

ولما عنى المتأخرون بهذا النوع من الكشف تكلموا فى حقائق الموجودات العلوية والسفلية وحقائق الملك والروح والعرش والكرسى وأمثال ذلك وقصرت مدارك من لم يشاركهم فى طريقهم عن فهم أذواقهم ومواجدهم فى ذلك وأهل الفتيا بين منكر عليهم ومسلم لهم وليس البرهان والدليل بنافع فى هذا الطريق ردا وقبولا إذ هى من قبيل الوجدانيات ثم إن كثير من الفقهاء وأهل الفتيا انتدبوا للرد على هؤلاء وشملوا بالنكير سائر ما وقع لهم فى الطريق والحق أن كلامهم معهم فيه تفصيل فإن كلامهم فى أربعة مواضع . أحدهما الكلام على المجاهدات وما يحصل من الأذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الأعمال لتحصل تلك الأذواق التى تصير مقاما ويترقى منه إلى غيره كما قلناه . وثانيها الكلام فى الكشف والحقيقة المدركة فى علم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسى والملائكة والوحى والنبوة والروح وحقائق كل موجود غائب أو شاهد وتركيب الأكوان فى صدورها عن موجدها

وتكونهـــا كمـــا مـــر . وثالثهـــا التصـــرفات فـــى العـــوالم والأكـــوان بأنواع الكرامات . ورابعها ألفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثير من أئمة القوم يعبرون عنهـا فـى اصـطلاحهم بالشـطحات تستكشـل ظواهرهـا فمنكـر ومحسـن ومتـأول . فأما الكلام فى المجاهدات والمقامات وما يحصل من الأذواق والمواجد فى نتائجها ومحاسبة الـنفس علـى التقصـير فـى أسـبابها فـأمر لا مـدفع فيـه لأحـد وأذواقهـم فيـه صـحيحة والتحقيـق بهـا عـين السـعادة وأمـا الكـلام فـى كرامـات القـوم وأخبـارهم بالمغيبـات وتصرفهم فى الكائنات فأمر صحيح غير متكرر وإن مال بعض العلماء إلى إنكارها فليس ذلـك مـن الحـق ومـا احـتج بـه الأسـتاذ الاسـفراينى مـن أئمـة الأشـعرية علـى إنكارهـا لإلتباســـها بـــالمعجزة فقـــد فـــرق المحققـــون مـــن أهـــل الســـنة بينهمـــا بالتحدى وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به قالوا إن وقوعها على وفق دعوى الكـاذب غيـر مقـدور لأن دلالـة المعجـزة علـى الصـدق عقليـة فـأن صـفة نفسـها

التصديق فلو وقعت مع الكاذب لتبدلت صفة نفسها وهو محال هذا مع أن الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات وإنكارها نوع مكابرة . وقد وقع للصحابة وأكابر السلف كثير من ذلك وهو معلوم مشهور وأما الكلام فى الكشف وإعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه لما إنه وجدانى عندهم وفاقد الوجدان عندهم بمعزل عن أذواقهم فيه واللغات لا تعطى دلالة على مرادهم منه لأنها لم توضع إلا للمتعارف وأكثره من المحسوسات فينبغى أن لا تتعرض لكلامهم فى ذلك وتتركه فى ما تركناه من المتشابه ومن رزقه الله فهم شئ من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكرم بها سعادة . وأما الألفاظ المبهمة التى يعبرون منها بالشطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع فأعلم أن الأنصاف فى شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور

معذور فمن علم منهم فضله واقتداؤه حُمل على القصد الجميل من
هذا وإن العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها كما
وقع لأبي يزيد و أمثالة و من لم يُعلم فضله ولا اشتهر
فمؤاخذ بما صدر عنه من ذلك اذا لم يتبين لنا ما يحملنا على
تأويل كلامة و أما من تكلم لمثلها و هو حاضر فى جنسة و لم
يملكه الحال فمؤاخذ أيضا . و لهذا أفتى الفقهاء و أكابر
المتصوفة بقتل الحلاج لأنه تكلم فى حضور و هو مالك لحاله و الله أعلم و سلف
المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة الذين أشرنا إليهم من قبل لم يكن لهم حرص على
كشف الحجاب و لا هذا النوع من الأدراك إنما همهم الاتباع و الأقتداء
ماستطاعوا و من عرض له شىء من ذلك أعرض عنه و لم يحفل به بل يفرون منه و
يرون أنه من العوائق و المحن و إنه إدراك من إدراكات النفس مخلوق حادث و أن
الموجودات لا تنحصر فى مدارك الأنسان و علم الله أوسع و خلقه أكبر و شريعته للهداية
أملك ، فلا ينطقون بشىء

مما يدركون بل حظروا الخوض فى ذلك ومنعوا من يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخوض فيه والوقوف عنده بل يلتزمون طريقتهم كما كانوا فى عالم الحس قبل الكشف من الاتباع والأقتداء ويأمروه أصحابهم بالتزامها وهكذا ينبغى أن يكون حال المريد والله الموفق للصواب .

أحوال السالكين

وإذا سلك العبد مسلك الصالحين وتدرج فى مقامات السالكين . وعامل الله معاملة اليقين . أصبح قلبه مسلكا للتجليات الآلهية والعطايا اللدنية . فقد قيل أن المقامات مكاسب والأحوال مواهب والمواهب محفوفة بالمكاسب . والمكاسب محفوفة بالمواهب . والأحوال مواهب علوية وسماوية والمقامات طرقها على أن المقامات والأحوال كلها مواهب . وإنما قال بعض الصوفية كل ما كان من طريق

الاخذ بالأسباب يعمل العبد فإنه كسب وما لاح من طريق المواجيد والأحوال فإنه وهب . وقد ذهب بعضهم إلى أن الأحوال لا تكون إلا إذا دامت فأما إذا لم تدم فهى لوامح . وطوالع . وبوادر وهى مقامات الأحوال وليست بأحوال فمن سلك حاله وثبت فى أحواله وراقب ربه أطلعه الله على مقامات نفسه ومقامات غيره فثبت فى الأحوال وأفنى نفسه فى الله واتخذ الفناء مع العجز عن الأدراك حالا له ثبت فيه وكان من أهل الكمال وقد رأينا والحمد لله شيخنا رضى الله عنه جمع هذه الصفات وكان من أهل الثبات متقلباً فى جميع المقامات حتى أصبح كاملاً فى نفسه كاملاً مع غيره كاملاً مع الله تعالى ولا تتوقف الأحوال على المقامات ولكن ربما صحت المقامات بالأحوال لأن الحال يرقى إلى المقامات وإلى دوام تطلع العبد الى أكثر منها وعدم القناعة فى محبة الله تعالى وفى القرب منه والعلم به . وقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم (اللهم ما قصر عنه رأيى وضعف فيه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته أحداً من عبادك أو خير أنت معطيه أحداً من خلقك فأنا أرغب اليك وأسألك اياه) ومواهب الحق لا تنحصر وهى متصلة بكلمات الله التى ينفد البحر دون نفادها فهو المنعم المعطى وله الرعاية والولاية والأحوال كثيرة نذكر منها طرفاً على سبيل الاستشهاد مما كنا نشاهده فى أحوال بعض أتباع شيخنا ومريديه ونذكر أولا طرفاً عن موارد النفس وتطوراتها وما ورد فيها على سبيل الايجاز مأخوذاً من الكتاب والسنة ومن كلام القوم فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الذكر والقرآن لينبتان الإيمان فى القلب كما ينبت الماء العشب) رواه الديلمى والأنبات يقتضى النمو والزرع لا يسلم من الآفات

كما أن القلب لا يسلم من التقلبات . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء) وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه (اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك يا أله) فالقلب مصدر للتقلبات والتطورات وله جملة أحوال منها

حديث النفس والخواطر

حديث النفس والخواطر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان للشيطان لَمَّةٌ بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر و تكذيب بالحق .وأما لمة الملك فيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) رواه الترمذى عن ابن مسعود

وللذكر نور يتقيه الشيطان كاتقاء أحدنا للنار فاذا غفل الأنسان تحركت النفس وكان لها حديث مع

الشيطان وقربت منه وتكدر صفو القلب وتكتسب ذنوباً تحجب العبد عن ربه فتبعده عن العمل . قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) فكل ما يلهوا به الأنسان ويغفل عن ربه فهو ران وشر لصاحبه وكل حديث للنفس فهو من الشيطان .أما من اتقى وذكر الله تعالى أزال الله عن قلبه الران ورزقه التمييز ونور القلب وصفاءه فيعرف الهدى من الضلال ويصير حديثه فى الخير وفى تصديق الحق ويكون من الله تعالى . قال تعالى (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا (أى ذكروا الله تعالى) فاذاهم مبصرون وفى الحديث إن الشيطان جائم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى تولى وخنس وإذا غفل التقم قلبه محدثه ومَنَّاه وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) فالذكر يورث التقوى ويحمى الجوارح من المكاره

ويظهر الباطن ويتقى حديث النفس فان حديث النفس أسوأ المعاصى والذاكر السائر فى مقامات السائرين إلى الله تعالى يندر فى حقه الخواطر الشيطانية لأن حديث النفس يكون دائماً لحظوظها الدنيوية وميل الى الهوى وانتصار لها . وأما الخواطر الرحمانية فزجر للنفس وميل الى الأعمال الأخروية وقد كنا نرى من أحوال الذاكرين اتباع شيخنا أنهم لا يركنون الى خواطرهم بل يتثبتون منها دائماً فلا يستفزهم الطبع ولا يستعجلهم الهوى وكانوا يتأدبون مع الله تعالى فينزلون النفس الى الذل والفقر اليه تعالى فيغيثها سبحانه وتعالى ويلهمها فجورها وتقواها فيعرف ان كان الخاطر لطلب حظ فيصرفه وان كان لطلب حق فيمضيه فإن أمضى خاطر الحظ يستغفر الله تعالى ويؤنب نفسه لأنه يعرف أنه اقترف ذنباً يجب المتاب منه ولا يزال الذاكر يترقى من خواطر الحظ الى خواطر الحق ويتحقق من باطنه بمعرفة الخواطر ويتخلص من لمة

الشـــيطان فيكـــون مـــع لمـــة الملـــك ويكـــون قلبـــه مزينـــاً بضـــياء الـــذكر فيصـــفوا لـــه البـــاطن ويســـتنير وتتســـع لـــه المعلومـــات فيترقى من حال إلى إذ يصير خاطر الحق عنده ثابتاً . ومن ترك حب الدنيا مالها وجاهها ورفعتـه فيهـا ومنزلتـه عنـد النـاس وكـان أكلـه مـن حـلال ميـز بـين الوسوسـة والإلهام

حب الروح

ومن الأحوال السنية حال (الحب) وقد تقدم أن الحب مقام ولكن هذا فى حق العام .أما الخاص فهو حب الروح وحب الروح موهبة فهو حال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثـلاث مـن كـن فيـه ذاق حـلاوة لايمـان مـن كـان الله ورسـوله أحـب إليـه ممـا سواهما . ومن أحب عبداً لا يحبه الا لله .. ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار) رواه الخمسة كما فى تيسير الوصول وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الـدعاء (اللهـم اجعـل حبـك أحـب الـى مـن نفسـى وسـمعى وبصـرى

وأهلى ومالى ومن الماء البارد ففى الحديث الأول دلالة على أن هناك ذوقا وأن هناك حلاوة ولا بد أن يكون لها لذة . وفى الثانى يطلب أن يكون هذا حاله فيستأصل حب كل شئ ويبقى حب الله تعالى فى روحه وقلبه وكليته ليكون الطبع والجبلة والجوارح وكل شئ فيه حب الله لا يشعر بغيره فيكون حب الذات عن مشاهدة الروح وهو الحب الذى يكون فيه الاختيار والاصطفاء من الله تعالى فيكون موهبة منه سبحانه وتعالى للعبد ويؤدى إلى العشق

العشق

(والعشق) هو الافراط فى الحب . قال الأستاذ الشبراوى فى شرح ورد سحر . اعلم إن الارادة لها تسع مقامات . المقام الأول (الميل) وهو انجذاب القلب الى مطلوبه فإذا قوى ودام سمى ولعا وهو المظهر الثانى للارادة ثم إذا اشتد وزاد سمى (صبابة) وذلك إذا أخذ القلب فى الاسترسال فيمن يحب فكأنه انصب كالماء إذا أفرغ قلا يجد بدا من الانصياب وهو المظهر الثالث

للارادة ثم إذا تفرغ له بالكلية وتمكن منه سمى (شغفا) وهو المظهر الرابع للارادة ثم إذا استحكم فى الفؤاد وأخذه عن الأشياء يسمى (هوى) وهو المظهر الخامس للارادة ثم إذا استولى حكمه على الجسد سمى (غراما) وهو المظهر السادس للارادة ثم إذا تمكن وزالت العلل الموجبة للميل سمى (حبا) وهو المظهر السابع للارادة ثم إذا هاج حتى كان يفنى المحب عن نفسه سمى (وردا) وهو المظهر الثامن للارادة ثم إذا طفح حتى فنى المحب عن المحبوب سمى (عشقا) وفى هذا المقام يرى العاشق محبوبه فلا يعرفه ولا يصغى اليه . وهذا آخر مقامات الوصول والقرب . وفيه ينكر العاشق معشوقه ولا يبقى الا العشق وحده فالعشق أعلى المقامات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة) رواه ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما .

فالعشق أصل الأحوال السنية وموجبها فالمرء مع

من أحب وكن مع الله ترى الله معك .

ومن الأحوال السنية أيضاً (الشوق) وهو كما قال بعض الصالحين كالزهد من التوبة اذا استقرت التوبة ظهر الزهد . واذا استقرت المحبة ظهر الشوق .. والشوق موهبة يعطيها الله تعالى للعبد وهى ثمرة المحبة فمن أحب الله اشتاق الى لقائه. وهذا الشوق حملهم الى عدم النظر الى الجنة ونعيمها بل يطلبون المحبوب نفسه كما قالت السيدة رابعة العدوية كلهم يعبدوك من خوف نار * ويرون النجاة حظاً جزيلا أو بأن يسكنوا الجنان فيحظوا * بقصور ويشربوا سلسبيلا ليس لى فى الجنان والنار حظ * أنا لا أبتغى بحبى بديلا .

الأنس

ومن الأحوال السنية أيضاً (الأنس) وهو انبساط المحب الى المحبوب أو كما قال الجنيد ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة . وقال غيره الأنس محادثة الأرواح مع المحبوب فى مجالس القرب . قال تعالى فى حديث قدسى

(أنا جليس من ذكرنى) أى أنيسه فلا وحشة لـه على أن الأنس حال عظيم يؤنس الروح بلـذة تـذوقها فتنـدهش فيهـا وقـد يـراه المخلـوق مـع المخلـوق فكيـف بالخـالق سبحانه وتعالى وفرق بين الأنس بالله والأنس بالمخلوقين .

البسط

ومن الأحوال السنية أيضاً (البسط) وهو نشاط يهجم بسرور على القلب فيمتلئ القلب منه فرحاً وسروراً واستبشاراً من غير سبب سوى أثر الذكر وهو موهبة من مواهب الباسط سبحانه وتعالى ونور يغلب على القلب فيصل الى الروح فيتجلى فى سماء المعارف فيزداد علمها بالله لأن رزق الجسم الأكل والشرب ورزق الروح المواهب العلمية والله سبحانه وتعالى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده وللنفس دسائس عند هذا الحال فانها تتحين الفرصة فى هذا الوقت وتسترسل فى البسط فتخرج المريد عن حده اللازم بامالته الى الهوى وهـذا ممقـوت ومبعـد . ولـيس هـذا هـو المطلـوب مـع الله تعـالى

وانما المطلوب أن يراقب ذلك فيراقب المولى سبحانه وتعالى ويخاف الغفلة عنه بما وهبه الله اياه فيقف عند حد الأدب ولا يشغله قبض أو بسط ثم ليحاسب نفسه خوف أن يكون ذلك حادث تلتقمه النفس من مجريات الأحوال بسبب نشاط طبيعى واهتزاز نفسانى أو بسبب سماع أو غير ذلك فيظنه حالا .

القبض

ومن الأحوال السنية أيضاً (القبض) وهو ضد البسط وهو قهر يقبض النفس وهم يعترى القلب فيوهمه تارة ويخيفه أخرى أو يسكنه بانكماش مع الذل وهو من غير سبب أيضاً سوى أنه من أثر الذكر وهو موهبة من مواهب الحق يبعثه فى القلب ليجعل النفس لوامة . وفى هذا الحال يكثر العبد من الذل والندم والتوبة والرجاء والله قبض ويبسط واليه ترجعون وهذان الحالان لا يظهران كما قيل إلا فى أوائل المحبة الخالصة لأنه متى ثبت الحب بالقلب ثبتت الروح مع الله فلا قبض ولا بسط وإنما هى مشاهد

التواجد والوجد

ومنها (التواجد والوجد) . التواجد هو استجلاب الوجد بالذكر والوجد وهج بالقلب يعترى الذاكر فيشتد عليه الولوع بالمحبوب من غير طلب حتى يصير هذا الحال وجداناً فيستمر فيه . . وربما يكون الوجد من مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب وربما يكون السماع سبب له ويكون الوجد وارد حق جديد يجده المستمع من نفسه وهو إما أن يرجع عن مشاهدات ومكاشفات فيكون من قبيل العلو والتنبهات وإما أن يرجع الى تغيرات وأحوال ليست من العلوم كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والقبض والبسط وهذه يهيجها السماع فان ظهر على الظاهر سمى وجدانا بحسب قوة وروده على القلب ويحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط حواسه وجوارحه وقد يقوى الوجد فى الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك ومنها .

الجذب

(الجذب) والجذب فى اللغة المد وجذب الشئ

ويجذبه جذبا وجبذه على القلب (والجبذ لغة تميم) وجذبه حوله عن موضعه .
والانجذاب سرعة السير وقد انجذبوا فى السير وانجذب بهم السير وسير الجذب سريع
قال الأستاذ الشبراوى فى شرحه على ورد سحر اعلم أن أهل الجذب على أقسام كما أن أهل السلوك كذلك فمنهم مجذوب سالك . ومنهم مجذوب دام له الجذب .
ومنهم مجذوب وقف بعد سيره ولا يصلح للارشاد إلا الأول لمشاهدته سائر المقامات حال سلوكه وبعض أهل الجذب يطلعه الله تعالى على تلك المقامات فى زمن يسير كلحظة ليصلح للارشاد وبكل من تقدم جذبه على سلوكه دل على عناية الله سبحانه وتعالى به لكن يشترط فى صلاحيته للارشاد أن يصحب جذبه السلوك ليقف على المقامات . والسلوك عبارة عن الانتقال من مقام الى مقام كالانتقال من اسم إلى اسم ومن تجل الى تجل ومن نفس الى نفس .

فالروح يدعوها العشق الى مشاهدة المحبوب فتجذب

ويجذبها الله تعالى بجذبات الحق إليه فتريد أن تسرع إليه فى المسير وتشتغل به والوجد والجذب أحوال تعترى النفس وتقوى فيها وتنتشر على أجزاء الشخص فى الجوارح والحواس والقلب والعقل والروح فتورثها أحوالا كثيرة نراها على أهل الجذب والوجد من إخواننا منها أننا نرى البعض ثملا ناشيا يكاد يكون كالسكران أو المجنون من شدة الحال غير أن السكران أو المجنون يذهب عقله فلا يدرى كيف حاله . وأما هذا فمحظوظ له عقله ومدركاته وصاحب الحال ذو عقل اذا أراد العودة عاد كل شئ منه إلى مستقره فهو صاح . وصاحب الخمر أو المجنون لا يمكنه العودة لأنه مسلوب العقل واذا عاد لا يستقر له شئ فى موضعه ونرى من احوال اخواننا أنهم لا ينعرجون فى أحوالهم ولا يستقرون فيها لدرجة الدوام بل أنهم مع هذا الحال سالكون واقفون على المقامات وكان يحصل

للبعض جذب فى مجلس الذكر وبما يخرجه عن حركة الذاكرين ولكن بمجرد أن ينبه الى الأمر من أحد اخوانه يعود مسرعا نشطا نادما على ما ظهر منه

السريانى

ونراهم ينطقون بكلام غريب تارة يفهم وتارة لا يفهم وهذا الكلام يعبرون عنه بالسريانى أو بكلام الروح ويتكلمون به كثيرا فى مجالس الذكر وعند السماع أو عند قرع أسماعهم كلام غريب أو صوت مزعج أو عند رؤية منكر أو سماعه فتجد قلوبهم نفرت عن المنكر ونطقت بكلام قهرى تقهر عليه النفس قهرا وربما حدث للبعض فى الصلاة ولقد كان الناس يتكلمون فيه ويقولون أنه باختبار الشخص وأنه حرام فى الدين قطعا ولكن ذلك لأنهم لا يعرفون أحوال القوم ووجدهم ومعاملتهم لله

ولقد كنا فى بلدة (بلقاس) مع سيدنا الأستاذ رضى الله عنه فى احتفال جمع الآلاف من الناس وفيهم وجوه القوم ومن ضمنهم عين من أعيان البلد المتعلمين النابغين المشهود له ومن أرباب المراتب العالية وقد اجتمع بسيدنا الأستاذ وسأله عن أتباعه وعما يراه من أحوالهم فى الجذب وغيره وكان يجيبه عنها وسأله عن الكلام (السريانى) وبالغ فى السؤال وأنكر هذا الأمر وأن وقوعه بدعة فى الدين وحرام . فقال له سيدى إن السالكين فى طريقنا لم يتصنعوه ولم يقولوه من أنفسهم بل أنهم مقهورون عليه . وقد اجتمع بنا مفتى الديار المصرية (الشيخ بكر الصدفى) فرآنا على هذا الحال ولم ينكر علينا فقال هذا (العين) وهو الآن حائز لرتبة (باشا) أهل لو كتبت لك سؤال عن هذا الكلام تجيبنا عليه كتابة لنرسله الى المفتى فيجيبنا عنه بالجواز . فقال رضى الله عنه نعم ذلك فأتى بمحبرة وقرطاس وسأله فى معنى هذا السؤال

لقد سمعنا من بعض أتباعكم كلاما غير مفهوم قالوا عنه إنه كلام (سريانى) وهذا ليس من الشرع فى شئ فهل تخبرنا عنه (فأجاب) إن الذاكر الساهر الذى تعلق قلبه بربه يرد على قلبه من معانى الاسماء معان يذوقها لا يمكنه التعبير عنها بأى لفظ عربى فيأخذه الوجد فينطق قهرا عنه بكلام لا يفهم وهو كلام الروح ولو صدر منه هذا فى الصلاة وكان هذا حاله لا يخرج من الصلاة كالعطاس لأن العطاس يخرج قهرا ولا يبطل الصلاة . فقال له الباشا لقد اقتنعت بهذا الجواب غير أننا لا نضمن أن يكون هذا من حال عندهم لأننا نراهم سالكين ليس عندهم حال الجذب الشديد الذى يجعلهم يقولون مالا يفقهون . فقال له ان أولادنا حالهم حال السلوك وقلوبهم مع الله . فقال ربما البعض يتصنع هذا الأمر فهل أنت راض عنه . فقال له لا أرضى ذلك ولا رسول الله ولا الله سبحانه وتعالى يرضى عنه ومن يفعل ذلك يكون ممقوتا بين الله وبين الناس . فقال أريد أن

تعلن ذلك فأمر سيدى أحد علماء الأزهر من مريديه الذين كانوا معه فأعلن ذلك للجمع وبين لهم سؤال (الباشا) وكلام سيدى الأستاذ وقام عقب ذلك جملة من العلماء والحاضرين من المعترضين وغيرهم وصاروا يخطبون فى الحث على الذكر ومدح الذاكرين حتى قال (الباشا) للمحتفل انك حزت على حفلة دينية لو صرف على جمعها آلاف النقود لم يتحصلوا عليها بهذا المثال هذا وقد قال بعض الصالحين المحبة معنى من المحبوب وهو الله سبحانه وتعالى . وهذا المعنى يقهر القلوب عن إدراكه ويمنع الأنس به عن عبارته . وهكذا نشوة المحب للمحبوب وتهتك المشتاق بالمشوق به وسريان الروح فى عالم التفكير ومسارح الترقى يجعلها تنطق بما لا تعى . أنطقها الله الذى أنطق كل شئ . وقد يستمر السالك فى حاله هذا حتى يصير عادة عنده ويرجع منه بدرجات عظيمة وكشف كبير وإذا انتهى إليه هذا الحال أصبح أنسه خير له

من سواه فيقف معه موقف الهيبة والإجلال والتعظيم لا يفكر إلا فى لقائه ورضائه عنه وزيادة الاحسان به فيقدر على نفسه ولا يرضى الكلام قال الشبلى العارف إن تكلم هلك . . والمحب إن سكت هلك ويروى عن الجنيد رضى الله عنه أنه منع بعض المحبين من أتباعه من الكلام فى حال الوجد فمات لوقته . فقال للحاضرين هذا هو المحب حقيقة لأن الكلام كان يفرج عنه ولما منع منه مات ونرى من بعض أتباع سيدى الأستاذ من من أخذه الوجد يصفق على يديه ويصفر ويكاد يقطع ملابسه لكن الله سبحانه وتعالى يلطف به فى الحال فيضبط حاله ويفيق بسرعة غريبة . . ومن لطف الله وسر هذا الطريق أنه طريق سلوك كما قال شيخنا أن المريد لا يأتيه هذا الحال وهو مشتغل بمهنته الدنيوية . أما ما يظهر منهم من الكلمات المتفرقة التى تظهر منهم فى بعض الأحيان ربما تكون

أسماء بلاد أو أسماء أشخاص أو حيوانات فإنها ربما تكون فى نفس المتكلم من الخواطر فغلب الوجد عليه فتكلم بما كان يجول فى خاطره قبل توارد الوجبة من الوجد وتدفعها الشدة فيكررها . ولذا قيل أن بعض القضاة أخذه الحال وهو فى القضاء فأخذه الجذب فصار يقول لاحق ولا استحقاق ولا ملك ولا شبهة ملك مما كان يقيده فى قضائه واستمر عليه فى جذبه وأما ما يقوله البعض منهم أخذا من كلام غيره فإنه أحد أمرين . إما انه ذو حال جديد فيكون قلبه مستعداً لما يرد عليه وكلام القوم نور فيقذف فيه . واما أن يكون تقليدا بطبيعة الحال ولذاتية بعض الصوفية الى أن الذاكر صاحب الحال يلزمه تجنب سماع الكلام السوء حتى لا ينطبع فى قلبه لأنه قريب عهد بربه وقلبه كزجاجة المصور التى لم تر شمساً فأول شئ تراه ينطبع فيها هذا بخلاف المقلد فانه ممقوت ويكون كلامه ثقيلا على القلوب . وكنا نرى اخواننا يفرون

منه لثقله وخوف انتقاده بقلوبهم وهم مع الله فيكون انتقادهم نظراً منهم الى الغير . وقد نهى شيخنا عن التصنع كما مر .

ما أورده الأستاذ الدباغ فى السربانى

واليك ما أورده نجم العرفان الحافظ سيدى أحمد بن المبارك عن قطب الواصلين سيدى عبد العزيز الدباغ فى الكلام السريانى قال سمعته رضى الله عنه يقول إن اللغة السريانية هى لغة الأرواح وبها يتخاطب الأولياء من أهل الديوان فيما بينهم لاختصارها وحملها المعانى الكثيرة التى لا يمكن أداؤها بمثل ألفاظها فى لغة أخرى . فقلت وهل تبلغها فى ذلك لغة العرب . فقال رضى الله عنه لا يبلغها فى ذلك الا ما فى القرآن العزيز فان لغة العرب اذا جمعت المعانى التى فى السريانية وكانت بلفظ العرب كانت أعذب وأحسن من السريانية . قال وسمعته رضى الله عنه يقول أن اللغات كلها مطنبة بالنسبة للسريانية لأن الكلام فى كل لغة غير السريانية يتركب من الكلمات لا من الحروف الهجائية . وفى السريانية يتركب من الحروف الهجائية

فكل حرف هجائى فى السريانية يدل على معنى مفيد . فإذا جمع إلى حرف آخر حصلت منهما فائدة الكلام . ومن عرف لأى معنى وضع كل حرف هان عليه فهم السريانية وصار يتكلم بها كيف يحب وارتقى بذلك إلى معرفة أسرار الحروف[1] وفى ذلك علم عظيم حجبه الله عن العقول رحمة بالناس لئلا يطلعوا على الحكمة مع الظلام الذى فى ذواتهم فيهلكوا نسأل الله السلامة قال سمعته رضى الله عنه يقول إن اللغة السريانية سارية فى جميع اللغات سريان الماء فى العود لأن حروف الهجاء فى كل كلمة من كل لغة فسرت فى السريانية ووضعت فيها لمعانيها الخاصة التى سبقت لها الإشارة مثاله أحمد يدل فى لغة العرب إذا كان علماً على الذات

---

[1] قال لى أحد اخوانى فى الله تعالى من غير المتعلمين ورد على وأنا أذكر أن كل حرف من حروف الهجاء يدل على أسم من أسماء الله تعالى وأنه موضوع على جنس من خلق الله تعالى يحفظه الله بسر هذا الأسم

المسماة به . وفى لغة السريانية تدل الهمزة المفتوحة التى فى أوله على معنى والحاء الساكنه على معنى والميم المفتوحة على معنى آخر . وهكذا محمد فى لغة العرب على الذات المسماة به . وفى السريانية تدل الميم على معنى والحاء المفتوحة على معنى والميم المشدودة على معنى والدال التى فى آخره على معنى وهكذا زيد وعمر ورجل وامرأة وغير ذلك مما لا ينحصر فى لغة العربية فكل حروفها الهجائية لها معان خاصة فى اللغة السريانية وكذا حكم كل لغة (فالبار قليط) وضع فى كل لغة العبرانية علما على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفى السريانية الهمزة التى فى أوله تدل على معنى واللام الساكنة تدل على معنى والياء على معنى وهكذا إلى آخر حروفه . فالسريانية هى أصل اللغات بأسرها واللغات ظارئة عليها وسبب طروئها عليها الجهل الذى عم بنى آدم وذلك لأن مبنى وضع السريانية وأصل التخاطب بها المعرفة الصافية التى لاجهل معها حتى تكون المعانى عند المتكلمين بها معروفة قبل التكلم فتكفى إشارة ما فى إخطارها فى

ذهن السامع فاتفقوا على أن أشاروا الى المعانى بالحروف الهجائية تقريبا وقصدوا الى الاختصار لأن غرضهم الخوض فى المعانى لا فيما يدل عليها حتى أنهم لو أمكنهم إحضارها بلا تلك الحروف ما وضعوها أصلا . ولهذا لا يقدر على التكلم بها الا أهل الكشف الكبير ومن فى معناهم من الأرواح التى خلقت عرَّافة درَّاكة والملائكة الذين جبلوا على المعرفة فإذا رأيتهم يتكلمون بما رأيتهم يشيرون بحرف أو بحرفين أو بكلمة أو بكلمتين إلى ما يشير اليه غيرهم بكراسة أو بكراستين إذا عرفت هذا علمت أنه لما عم بنى آدم الجهل كان ذلك سبباً فى نقل الحروف عن معانيها التى وضعت لها أولا وجعلها مهملة فاحتيج فى أداء المعانى الى ضم بعضها الى بعض حتى يحصل فيها مجموع يسمى كلمة فيدل على معنى من المعانى الدائرة عند أهل ذلك الوضع فضاع بسبب جهل معانى الحروف ومعرفة أسرارها علم عظيم ومع ذلك فإن أخذت تلك الكلمة التى فى تلك اللغة وأردت أن تفسر حروفها بما كانت عليه قبل الوضع

والنقل وجدت فى الغالب حرفاً منها يدل على المعنى الذى نقلت اليه لاتفاقه مع المنقول عنه ووجدت باقى حروف تلك الكلمة يدل على معانٍ أخر يعرفها السريانيون ويجهلها غيرهم فالحائط مثلا وضع فى لغة العرب للسور المحيط بدار أو نحوها والحاء التى فى أوله تدل على ذلك فى لغة السرياني والماء مثلاً وضع فى لغة العرب للعنصر المعروف والهمزة التى فى آخره تدل على ذلك والسماء وضعت للجسم المعلوم والسين التى فى أوله تشير الى ذلك وهكذا من تأمل غالب الأسماء وجدها على النمط ووجه غالب حروف الكلمة ضائعة بلا فائدة . قال وسمعته رضى الله عنه يقول أن سيدنا آدم على نبينا عليه الصلاة والسلام لما نزل إلى الأرض كان يتكلم بالسريانية مع زوجته وأولاده لقربهم بالعهد . فكانت معرفتهم بالمعانى صافية فبقيت السريانية فى أولاده على أصلها من غير تبديل ولا تغيير الى أن ذهب سيدنا ادريس على نبينا وعليه الصلاة والسلام فدخلها التبديل والتغيير وجعل الناس ينقلونها عن

أصلها ويستنبطون منها لغاتهم فأول لغة استبطت منها لغة الهند فهى أقرب شئ الى السريانية (قال) وانما كان سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام يتكلم بالسريانية بعد نزوله من الجنة لأنها كلام أهل الجنة فكان يتكلم بها فى الجنة ونزل بها الى الأرض (قال) فقلت قد ذكر المفسرون فى قوله تعالى (خلق الإنسان علمه البيان) ان المراد بالانسان آدم . والمراد بالبيان النطق بسمعمائة لغة أفضلها القرآن فقال رضى الله عنه ان ذلك التعليم الذى وضع لآدم صحيح وهو كذلك يعرف تلك اللغات ومن دونه من الأولياء يعرفها ولكن لا ينطق الا باللغة التى نشأ عليها وآدم انما نشأ على لغة أهل الجنة وهى السريانية . قال وأما حديث ابن عباس مرفوعاً (أحب العرب لثلاث) لأنى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى . فان النفيلى قال لا أصل له وعده ابن الجوزى فى الموضوعات . قال وسمعته رضى الله عنه يقول من تأمل فى كلام الصبيان الصغار وجد السريانة كثيراً فى كلامهم .

درجات الأولياء وكراماتهم

أمـــا الـــدرجات فإنهـــا عطيـــة مـــن الله ســـبحانه وتعـــالى وموهبة منه لا تنال بالطلب وليست هى المقصودة فى العمل وأهل الكمال العاملين على النهج المار فى الأحوال والمقامات لا يقصدون فى عملهم نوال درجات أو عطايا إنما مقصدهم هو الله سبحانه وتعالى والفناء فى حبه ورضاؤه عنهم

فاذا أعطى الله تعالى العبد درجة من الدرجات أو موهبة من المواهب كان قبوله لها لأنها عطية من المحبوب لا أنها مطلوبة فلا تشغله وسمعت شيخى رضى الله عنه يقول للمبتدئين اذكروا الله ذكراً خالصاً لوجهه الكريم لا تقصدون منه ولاية ولا درجة من الرجات ولا عطية من العطيات إنما اذكروه عبادة محضة . قال تعالى (فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص) والدرجات كثيرة نذكر منها طرفاً على سبيل

الاستشهاد مما رأيناه فى شيخنا وأتباعه ونقدم أولاً بياناً مختصراً فنقول . قال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئٍ عدداً) أى يعلمه بعض الغيب فيكون إخباره عن الغيب معجزة فمن رسول بيان لمن ارتضى والولى إذا اخبر بشئ فظهر فهو غير حازم عليه بل يقول بناء على رؤياه أو بالفراسة أو بالالهام أو بالكشف أو بالسمع أو بالبصر وسيأتى بيان ذلك مفرداً عن كل درجة .

على أن كل كرامة للولى فهى معجزة للرسول وعلم الغيب لله سبحانه وتعالى فهو منفرد به لا يطلع عليه أحد من خلقه لا رسول ولا نبى ولا ملك ولكن يظهر ما يشاء من بعض الغيب على من يصطفيه من الملائكة والرسل والأنبياء والأولياء

من ذلك إرساله الملائكة للرسل بالآيات والأحكام وما يقومون به من دفع الباطل الذى يصيبهم فى

دعوتهم ببيان مواقعها قبل الشئ كما ورد فى القرآن (سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا) وقوله تعالى (آلم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) وقوله تعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وقوله تعالى (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) وغير ذلك فهذا إخبار بالمغيبات على لسان الملائكة وبالوحى القلبى وغيره للرسل والأنبياء والأولياء قال تعالى (ففهمناها سليمان) وفى قوله تعالى (قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) وقال تعالى (وعلمناه من لدنا

علما) وفى تكلم عيسى فى المهد دلالة كبرى على إلهام الله سبحانه وتعالى لمن يريد أن يلهمه ما يريد من الآيات قال تعالى على لسان عيسى (إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصلنى بالصلاة والزكاة مادمت حيا) والأحاديث الناطقة عمن تكلم فى المهد مشهورة . على أن الله سبحانه وتعالى يكرم الولى من حيث لا يشعر الولى نفسه ويكشفه على ما يشاء أن يكشفه عليه لمصلحة عامة أو أمر ضرورى يؤدى لإصلاح الحال فى الدين أو الدنيا لقوم مؤمنين ولو قيل لو جازت الكرامة للولى لما تميزت المعجزة للنبى وفسد الطريق إلى معرفة الرسول من غيره " فالجواب " إن الفرق بين المعجزة للنبى وكرامة الولى أن المعجزة خارقة للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدى " أى الطلب " والولى لا يدعى خرق العادة مع التحدى فان الولى تابع للرسول متابع له . والكرامة مع متابعته للنبى واقتفاء أثره وسيره إلى الله سبحانه وتعالى معجزة للرسول . ومما تقدم فى

أحوال السالكين المحبين الوالهين الوالعين بالله سبحانه وتعالى

يعلم أن هذه الكرامات والدرجات إنما هى نور يرسله الله سبحانه وتعالى فى قلوبهم فيضئ على أرواحهم فتشهد بمدراك المعرفة ما يريد الله تعالى أن يشهدهم إياه والعطايا لا تعد ولا تحصى ولكن نذكر منها طرفا على سبيل التعريف فقط دلالة على فضل الله على عباده (منها)

الفراسة

وهى نور يقذفه الله سبحانه وتعالى فى القلب بسبب إخلاصه فى محبته وسلوكه مقامات الوصول فيهتدى إلى الحق ويميز به الظلمات من النور فيدرك بعقله مسارح الأرواح وتقلبات القلوب مهما خفيت . ولذلك حث السادة الصوفية على ضرورة حفظ القلب مع السالكين خوف اتصال النظر بطريق استدلال الأرواح بنور الفراسة لخواطر القلوب فيحصل تغيير فى التقابل فتتغير القلوب

ويتكـــدر صـــفوها والله تعـــالى مـــع المتقـــين قـــال تعـــالى (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وقال تعالى فى حديث قدسى " أنا مع المنكسرة قلـوبهم لأجلـى " وفـى الأثـر اتقـوا فراسـة المـؤمن فانـه ينظـر بنـور الله . وفى الأثر أيضا " اتقوا غيظ القلوب " ثم إن الفراسة تتولد من السير فى مقامات السلوك فيتقلـب القلـب فـى المجاهـدات ومعرفـة خطايـا الـنفس فيشـهد مثـل أحوالـه فـى غيره والمؤمن مرآة أخيه فيتفرسها . والفراسة أيضا تهجم على القلب من نار الوجد والمحبة لله تعالى حتى تصير إلهاما . والفراسة أيضا ربما تكون من قوة الروح المتسـلطة علـى العقـل فتـدرك بطريـق التمييـز وقـد يكـون فـى عامـة النـاس وليسـت هـذه الأخيـرة هـى المقصـود مـن مواهـب الأوليـاء (ومنهـا)

الالهام

وهو عبارة عن وحى يوحيه الله تعالى فى القلب بنور المعرفة فيهتدى إلى الصواب ويثمر علما لدنيا من علم الله تعالى . والعلم اللدنى هو الذى لا واسطة فى حصوله بين الروح وبين الله سبحانه وتعالى بل يكون كالضوء من النور يفرغه الله على قلب صاف فارغ من الأغيار ومن هوى النفس ومن حب الدنيا ومن الأمراض التى تحجب العبد عن ربه فتنزل على قلب لطيف تشغله فيكون واسطة العبد بربه فلا ينطق ألا حقا ولا يقول إلا ما يريده الله سبحانه وتعالى . وقد قال شيخنا رضى الله عنه (لا يأتى من الذكر غير الحق لأن القلب الصافى المشغول بالله بذكر الحق ولا يقول الا حقا) قال تعالى (يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب) وقال تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) وقال تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن

أرضعيه) يعنى ألهمها وهداها وقال تعالى (علم الإنسان مالم يعلم) وقال تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة) وقد علم من هذا أن علم آدم كان علما لدنيا ليس بتعليم ملك فهو علم موهوب لأنه قال ثم عرضهم على الملائكة . وعلم الانبياء علم موروث منه ثم علم موهوب لهم يختصون به بواسطة وبغير واسطة فبواسطة كالوحى بواسطة الملك . وبغير واسطة كالوحى فى الروع . كما أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث للأمة بالنور والموروث والموهوب له خاصة فعلمه علم موهوب خصوصية له وموروث له من آدم وإن كان هو الأصل قبل خلق آدم . قال الامام حجة الاسلام أبى حامد الغزالى ما ملخصه . والعلم اللدنى يكون لأهل النبوة والولاية كما حدث للخضر عليه السلام حيث قال تعالى (وعلمناه من لدنا علما) والوحى قد انقطع بانقطاع النبوة لأن باب الرسالة قد أغلق بعد تصحيح الحجة وإكمال الدين لهم على يد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى (اليوم

أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) وليس من الحكمة إظهار زيادة الفائدة من غير حاجة بإرسال الرسل ولكن ضرورة النفوس وحاجتها الى تأكيد وتجديد وتذكير جعل الله باب الالهام مفتوحا ومدد نور النبوة لا ينقطع رحمة منه سبحانه وتعالى بالأمة حتى لا تستغرق النفوس فى الوساوس وتنهمك فى الشهوات وليظهر ينابيع الحكمة فى الروح وتأثير المؤثر عليها ولأجل النظر فى إبداع الصنع والتفكر فى مخلوقات الله سبحانه وتعالى ١. ولو نظر الانسان فى نفسه وأن قلبه مسيطر على حواسه وجوارحه يحركها كيف أراد لعلم أن لله سبحانه وتعالى فى خلقه شئونا يحركها كيف أراد وأنه هو المعطى وهو المدبر وهو اللطيف الخبير .

فالإلهام عبارة عن نور يسطع فى قلب العبد المؤمن التقى السائر إلى الله تعالى الذى أخلصه اليه ورزقه حبه فاشتاق اليه وانجذب له فقذف فى قلبه نور المعرفة وألهمه

الصـــــواب وأزال عـــــن قلبـــــه الـــــران وكشـــــف لـــــه حجـــــاب الجهـــــل وعرفه به وعلمه ما شاء قال تعالى (فألهمها فجورها وتقواها) أى علمها بنور المعرفة والتميز فجورها ليبتعد عنه وعلمها تقواها لتخشى الله تعالى وتسير فيما يرضيه . ولقد شاهدنا على إخوانن هذا الحال فى وجود شيخنا رضى الله عنه وظهر منهم العجب العجاب فقد كانوا يقولون كلاما على صورة الموزون من غير تحضير أو تفكير أو مطالعة كتب أو غير ذلك فيتكلمون فيه بالتوحيد المحض بكلام يؤثرعلى الأرواح تأثيرا كليا فتسير فيها عوامل الحب ويورثها أنسا غريبا لم يعهد له نظير من قبل أو يتكلمون فى مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم بروح تظهر عليها الدهشة فى الحضرة النبوية فيتكلم بلسان الحاضر مع المصطفى فيجذب له الناس لاستماعه حتى رأينا من العلماء والمتعلمين وقادة العقول إنكبابا على ســـماع هـــذا الكـــلام بجاذبيـــة شـــديدة مـــع الدهشـــة والاســـتغراب لأن كـــلام الملهـــم مـــنهم يخـــرج مـــن روح عاملـــة لله فينـــزل فـــى القلـــب كالمصـــباح

فى المكان المظلم وقد يكون ذلك سببا لهداية كثير من الخلق لأن روح الدعوى والإرشاد التى يبديها الملهم فى كلامه إنما هى روح من الله تعالى ألقاها فى القلب لتلفتهم إلى معرفة الله وإلى عبادته . وكان بعض الناس يظنون أن هذا الكلام ربما كان محفوظا منه شئ فكانوا يحضرون فى المجتمعات وحفلات الذكر ويختبرون الملهمين بإلقاء أبيات من صناعة الشعراء ليقولوا عليها تشطيرا لها أو مخمسا منها أو من نوعها أو من معناها فكان سيدنا الأستاذ رضى الله عنه يبيح ذلك بصدر واسع وبأمر الملهم أن يقول كما يطلبون إظهار لفضل الله تعالى وبيانا لواسع إعطائه وتشويقا لعباده فكان يقول المأمور قولا بدون تردد ينطلق فى الكلام انطلاقا بأفصح عبارة وأحسن بيان وكانوا يطلبون أيضا تفسير قرآن . رضى الله عنه يأمر الملهمين أيضا بالتفسير فيفسرون الآيات بأحسن تفسير ولا يوجد أدنى وجه للاعتراض مطلقا من الحاضرين مع التفسير يكون بحضور كبار العلماء من الأزهر

وغيرهم من المعاهد الدينية والمدارس ولقد رأينا بعض المدرسين وقضاة المحاكم الأهلية والشرعية يتزاحمون لسماع الكلام ومنهم من قال أن هذا التفسير فى طائفة مخصوصة من أتباع الشيخ فقيل له ان هذا فى غير واحد بل إن تلاميذ المدارس الواصلين على سيدى فيهم هذه الموهبة فهم يقولون ويكتبون فطلبوا من سيدى الأستاذ أن يأمر بعضهم أن يكتب فنادى أحد تلاميذ المدرسة وطلب منهم أن يلقوا عليه آية أو آيات من القرآن ليكتب عليها فطرح عليه أحدهم أو هو الأستاذ " الشيخ طنطاوى جوهرى " الفليسوف الشهير آية من القرآن ليكتب عليها أمامه وهى (والسماء رفعها ووضع الميزان) وجئ له بالورق فكتب عليها بدون تردد أو انتظار للكتابة أو قدح فكر كما هو شأن الكاتب بل استرسل فى الكتابة حتى فسر الآية وملأ أربع صحائف كبيرة فى مسافة لا تزيد عن ربع الساعة والناس حاضرون يرون ذلك وبعد أن أتم الكتابة قرأها

عليهم فعلموا أن هذا سر الطريق والذكر وأن هذه موهبة من الله تعالى وأنه إلهام حقيقة لأن روح الإلهام ظاهرة فيه وكانت هذه آية من آيات الهداية وكرامة من كرامات الدعوى وأنه بروح من الله تعالى .

وتكرر ذلك مرارا فى كل بقعة وفى كل مكان من أناس كثيرين جدا فكانوا يذعنون الا الذى فى قلبه مرض بل ربما أذعن مريض القلب ثم يعود إلى اصراره . .

(ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) وهذا قد أراده كبره عن الهداية شأن المتكبرين نعوذ بالله منهم ، (ومنها)

الكشف والسمع والبصر

فالكشف نور فى القلب يدرك به الولى عين الشئ بقوة البصيرة فيطلعه الله على ما يشاء أن يطلعه عليه بحسب حاله وهو على ثلاثة أقسام

أولها قوة الخاطر وسرعة الفهم وتخيل الأشياء وتكرر ذلك مع صدق الخاطر فى كل مرة فيصير فى قوة الكشف وهو طوالع الكشف . وثانيها تمثل الأشياء الغيبية ومواقعها فى القلب فتدرك بالتحقيق عند وقوعها ويتكرر ذلك . وثالثها ادراك الأشياء بقوة البصيرة فيقول بإطلاع محقق يطلعه الله سبحانه وتعالى عليه متى يشاء والسمع والبصر قوتان من قوة الكشف ودرجتان عظيمتان يهبهما الله سبحانه وتعالى للولى . قال لى شيخى ان الله سبحانه وتعالى يعطى للولى درجتى السمع والبصر فيرى الولى من هو فى أقصى الأرض ويسمع من يناديه كذلك .

ولقد كان لى واقعة حال معه رضى الله عنه فى هذه المسألة فاننى فى بدء أمرى قبل المعاهدة سمعت منه ذلك وما كنت أدرى أن الولى يسمع ويبصر . بل كنت أفهم أن ذلك عطاء يوحيه الله سبحانه وتعالى فى قلب من يريد

من أوليائه فقلت له كيف ذلك فقال يسمع الكلام فى القلب قبل أن يتقلقل ويبصره أيضا كأنه محسوس فاندهشت فى نفسى ونظرت إلى سيدى فى حال محادثته بحالة الاستغراب فنظر الى نظرة شديدة رأيته فيها كالأسد الضارى بعينين براقتين لا أكاد أنظر إليه وكدت أهلك من هذه النظرة ولم أجد لى مجالا للقيام فسكت وسكت أنا مذعنا فهدأ روعى ولم يمكنى بعدها النظر اليه كما كنت أنظر اليه من قبل .

أما تحقيق الكشف والسمع والبصر فقد ورد بتأكيده الشرع الشريف . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس محدثون من غير أن يكونوا أنبياء وإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر بن الخطاب) رواه أبو هريرة كما أخرجه البخارى .

وقد ثبت عن سيدنا عمر رضى الله عنه فوق ذلك الكشف والسمع والبصر وإسماعه للغير فقد كان بالمدينة وجيشه " بنهاوند " وبينهما مسافة شهرين فرأى العدو

كامنا وراء الجبل ينتظر مرور الجيش فنادى سيدنا سارية وكان أمير الجيش وقال له " يا سارية الجبل " وهو على المنبر يخطب يوم الجمعة فسمع سيدنا سارية هذا النداء سماع محقق وعلم أنه أمير المؤمنين فسار الى الجبل وهناك رأى الأعداء فانتصر عليهم ولولا ذلك لهلك الجيش . فانظر إلى رؤية سيدنا عمر رضى الله عنه . وإلى سماع سيدنا سارية كلامه . وإلى معرفة موضع النجاة فإن ذلك مما يثبت الكشف والسمع والبصر فى الأمة المحمدية . قال الامام حجة الحفاظ والمفسرين ناصر السنة . ومؤيد الملة . تاج الدين سيدى عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى رضى الله عنه فى طبقات الشافية الكبرى لم يقصد سيدنا عمر رضى الله عنه إظهار هذه الكرامة وإنما كشف له ورأى القوم عيانا وكان كمن هو بين أظهرهم أو طويت الأرض وصار بين أظهرهم حقيقة وغاب عن مجلسه بالمدينة واشتغلت حواسه بما دهم المسلمين بنهاوند فخاطب أميرهم خطاب من هو معه أو هو حقيقة أو كمن هو معه (قال) واعلم أن ما يجريه الله على

لسان أوليائه من هذه الأمور يحتمل أن يعرفوا بها ويحتمل ألا يعرفوا بها وهى كرامة على كلا الحالتين .

ولقد أورد تاج الدين المذكور فى الكتاب المذكور كلاما عن الكرامات ما ملخصه اعلم أن كل كرامة ظهرت على يد صحابى أو ولى أو تظهر إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين فإنها معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لأن صاحبها انما نالها بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم وهو معترف له بأنه مقدم خليقة الله وصفوتهم وسيد البشر الذى من بحره تستخرج الدرر ومن غيثه يستنزل المطر وهذا المعنى يصلح أن يكون سببا اجماليا عاما فى الاظهار لا سيما فى عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فإن الكفار إذا رأوا ما يظهر على يديهم من الخوارق آمنوا بنبيهم صلى الله عليه سلم وعلموا أنهم على الحق ثم أورد كرامات كثيرة للصحابة منها ما كان على يد سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهو ما صح من حديث عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أن أبا

بكر الصديق رضى الله عنه كان نحلها جاد عشرين وسقا فلما حضرته الوفاة قال والله يابنى ما من الناس أحد أحب إلى غنى بعدى منك ولا أعز على فقرا بعدى منك وإنى كنت نحلتك جاد عشرين وسقا فلو كنت جددته وأخرتيه كان لك وانما هو اليوم مال وارث وإنما هو أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله . قالت عائشة يا أبت والله لو كان كذا لتركته انما هى أسماء فمن الأخرى . فقال أبو بكر ذو بطن بنت أراها جارية فكان كذلك (قال) قلت فيه كرامتان لأبى بكر "

أحدهما " اخباره بأنه يموت فى ذلك المرض حيث قال وإنما هو اليوم مال وارث " والثانية " إخباره بمولود يولد له وهو جارية . ومنها ما حدث لسيدنا عمر رضى الله عنه عند ما زلزلت الأرض فى زمنه حيث ضرب الأرض بدرته وقال لها أستقرى ألم أعدل عليك فاستقرت ، ومنها جوابه للنيل أن يجرى وقصته مشهورة حيث كتب بطاقة لسيدنا عمروا بن العاص ليلقيها فى النيل حينما

أخبره يتأخر جريانه وبعادة المصريين الذين كانوا يرمون فى النيل جارية فألقاها فجرى النيل وأبطل العادة المنافية للإسلام .

ومنها ما وقع من سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه حيث دخل عليه رجل كان قد لقى امرأة فى الطريق فتأملها فقال له عثمان رضى الله عنه يدخل أحدكم وفى عينيه أثر الزنا فقال الرجل أوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ولكنها فراسة ... ومنها ما وقع على يد سيدنا على رضى الله عنه وكرم الله وجهه حيث دعا الله تعالى لرجل جف شقه الأيمن بسبب مخالفته لوالده ثم رضى عنه قال يا مبارك قم فقام ومشى وعاد الى الصحة كما كان .

ومنها استسقاء سيدنا عمر رضى الله عنه بالعباس رضى الله عنه فأمطرت السماء وقصتهما مشهورة . وفى هذه القصة جواز الوسيلة بالأولياء كما فعل سيدنا عمر بالعباس رضى الله عنه .

ومنها على يد سيدنا عمر رضى الله عنه أيضاً حيث قال

للأسد الذى منع الناس الطريق تنح فبصبص بذنبه وذهب .

ومنها على يد العلاء بن الخضرى رضى الله عنه وقد بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة فى جيش فحال بينهم وبين الموضع البحر فدعا الله ومشوا على الماء ومنها أن سيدنا خالد بن الوليد شرب السم ولم يضره وقد أخذ مما استطرده فى بيان الكرامات الرزق لمريم فى المحراب ولم تكن نبية .

وقصة أهل الكهف وقصة آصف بن برخيا مع سليمان فى حمل عرش بلقيس وما أعطاه الله لعلماء هذه الأمة وأوليائها من الكرامات وهى ما شاع وذاع بحيث لا ينكرها الا جاهل معاند طمس قلبه والعياذ بالله فانها جارية

مجرى شجاعة علىّ وسخاء حاتم وانكارها من أعظم المباهته . والاحتجار على مواهب الله تعالى لأوليائه عظيم عسير . وذكر أنواعاً من الكرامات وما وقع فيها للعلماء والصالحين من خوارق العادات (قال) منها احياء الموتى

واستشهد لذلك بقصة أبى عبيد اليسرى وقد صح أنه غزا ومعه دابة فماتت فسأل الله أن يحييها حتى رجع الى بسر فقامت الدابة تنفض أذنيها . فلما فرغ من الغزوة ووصل الى يسر أمر خادمه أن يأخذ السرج عن الدابة فلما أخذه سقطت ميتة .

وقال سيدى مفرج الدماميني للفراخ المشوية طيرى فطارت ونادى الشيخ الأحوال لهرته بعد ما ماتت فجاءت من الخرابة التى ألقيت فيها ومنها كلام الموتى كما حصل لأبى سعد الخراز وغيره ومنها انفلاق البحر وجفافه والمشى على الماء كما اتفق لشيخ الاسلام تقى الدين بن دقيق العيد . ومنها انقلاب الأعيان كما حكى أن الشيخ عيسى العطار اليمنى أرسل اليه شخص مستهزئاً به اناءين من خمر فصب أحدهما فى الأخر وقال بسم الله كلوا فأكلوا . ومنها انزواء الأرض وكلام الجمادات والحيوانات كما حصل لسيدى ابراهيم بن أدهم حبيث كلمته الشجرة . ومنها ابراء العليل . ومنها الأخبار

بالمغيبات والتصريف حتى ذكروا أن بعضهم كان يبيع المطر . ومنها رؤية المكان البعيد ومن وراء الحجب والاطلاع على ذخائر الأرض وهكذا آخر ما أورده . وذكر أن سيدى عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء رد وعاء الجبن مع رسول الشيخ عبد الله البلتاجى حين ما أهداه به وبغيره فأخذ غيره ورد الجبن من غير ما يعلم شيئاً عنه وقال له إن المرأة التى حلبت هذا كانت يدها متنجسة بالخنزير وكان ذلك صحيحاً لأن الرسول وقع منه الوعاء فى الطريق فانكسر بالجبن فرآه شخص ذمى فباعه غيره وهو الذى رده الشيخ . وذكر عنه أيضاً أن الأفرنج فى زمنه وصلوا إلى المنصورة فى المركب واستظهروا على المسلمين وكان الشيخ مع العسكر فقويت الريح فلما رأى الشيخ حال المسلمين نادى بأعلى صوته مشيراً بيده الى الريح يا ريح خذيهم عدة مرات . فعلت الريح على مراكب الأفرنج فكسرتها وكان الفتح وغرق أكثر الأفرنج وصرخ بين يدى المسلمين صارخ الحمد لله الذى

أرانا من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رجلاً سخر له الريح .

وفى زمنه حكم هو على أمراء الدولة من الأتراك ببيعهم لأنهم لم يثبت عنده أنهم أحرار وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين فبلغهم ذلك وعظم الخطب عندهم ونزل نائب السلطان على فرسه وذهب لبيت الشيخ ليقتله فخرج الشيخ وحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب وسقط السيف منها وأرعدت مفاصله فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له وقال له يا سيدى أى شئ تعمل .

قال أنادى عليكم وأبيعكم قال ففيم تصرف ثمننا قال فى مصالح المسلمين قال من يفبضه قال أنا قال فتم له ما أراد ونادى على الأمراء واحداً واحداً وغالى فى ثمنهم وقبضه وصرفه فى وجوه الخير وهذا ما لم يسمع بمثله عن أحد (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

هذا ولو فتحنا هذا الباب وسردنا منه مجرد

استشـــهادات ممـــا حصـــل للأوليـــاء المنقـــول عـــن أكـــابر العلمـــاء بالأسانيد القوية ما أمكننا سده . ولذلك نختصر على ما قدمناه من البيانات العقلية فى مقامات السالكين ودرجاتهم تبصرة وذكرى لقوم يؤمنون .

الباب الثالث
فى انتقال سيدى الأستاذ وتخليف سيدى الشيخ ابراهيم نجله خليفة له وانتشار الطريق على يده

انتقال سيدى الأستاذ

فـــى عـــام ١٣٣٨ هجريـــة قـــام ســـيدى الأســـتاذ إلـــى الســـياحة من أولها فكان يذهب إلى البلاد ويتنقل من بلد إلى أخرى وهو لا يبالى بمطر أو برد مع كبر سنه وكان حاله ووجده بالله شديداً وكنت أتمنى لو أرافقه دائماً فى سياحته خصوصـــاً فـــى هـــذا العـــام لشـــدة هيامـــه وشـــغله بـــالله مـــع قيامـــه

بالـــــدعوى وكنـــــت أحـــــث إخـــــوانى بـــــالحرص علـــــى الوقـــــت الـــــذى يمكـــــنهم فيـــــه الاجتمـــــاع بســـــيدى الأســـــتاذ فـــــلا يضـــــيعونه لينتفعـــــوا بأنفاسه وكان لى عادة أن أحتفل كل عام بتشريفه عندى كما تقدم فطلبت من حضرته أن يشـــــــــــــرفنا فـــــــــــــى شـــــــــــــهر رجـــــــــــــب وكـــــان لـــــم يـــــتمم الســـــياحة فـــــى الوجـــــه البحـــــرى فـــــى خـــــط (دميـــــاط) فقال سنجعل الحضور عندك فى شعبان فألححت عليه فقال إن شعبان أحسن فإن الأمر منه شـــاع وبـــان فامتثلـــت. وفـــى الشـــهر المـــذكور شـــرف عنـــدى بثغـــر الاســـكندرية واحتفلنـــــا بتشـــــريفه وفيـــــه زوجـــــت نجلـــــى عبـــــد المـــــنعم لتحصـــــل البركـــــة بوجـــــوده رضـــــى الله عنـــــه ولأن تشـــــريفه دائمـــــا كـــــان موسم سرور وائتناس .

وكان حال سيدى يزداد مع الله وكان يحب العزلة ما أمكن . ومع هذا فكانت الزوار ترد بكثرة شـــــديدة فيحتـــــاطون بـــــالمنزل ويمكثـــــون الأوقـــــات الكثيـــــرة ينتظـــــرون بفارغ الصبر رؤيته رضى الله عنه للتبرك به ولا يملون من الانتظار . وفـــــى هـــــذا العـــــام أقبلـــــت النـــــاس عليـــــه إقبـــــالاً كليـــــاً

وكان الأنس والسرور ونور الايمان والإشراق ظاهراً على الوجوه بخلاف العادة فكان هذا الحال أدعى عندى الى الخوف لتكامل الحال عند سيدى وتجمع القلوب على حبه والالتفاف حوله إلى هذه الدرجة حتى كانت الأجانب تأتى لزيارته وتطأطئ الرءوس عنده وكان يسأل كل واحد فى حاله بغاية اللطف والوداعة . وقد جاءه طبيب أجنبى فسأله فى مهنته ويجاوبه حتى أوقفه فى الجواب فقال الطبيب ان هذا الرجل مثله كمثل الأنبياء الذى يظهرون بآيات جديدة يجب الاتيان اليهم .

وبينما أفكر فى هذه الحال أردد قوله تعالى (إذا جاء نصر الله وافتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) وأن هذا الأمر دليل على قرب الوقت لسيدى

إذ حضرنى أخى فى الله (محمد بك السيد الفقى) من أعيان كمشيش بالمنوفية وأخبرنى أن سيدى شرع فى بناء مسجد بجوار منزله وكان يبدو على وجهه السرور لأنه

يخبرنى على سبيل البشر فما كدت أسمع ذلك إلا وتكدر خاطرى وذهلت لأن تذكرت أن سيدى قال لى من مدة ثمان سنوات أنه سيبنى مسجداً وسيكون فيه ضريحه وكان يشير لى بطريق الإشارة أن هذا الوقت يكون فيه انقضاء أجله . وكان يشير إلى أن المسجد سيكون فى الجهة الشرقية البحرية من بيته وكان يجدد هذه الذكرى فى بعض السنين وفى احتفاله بمولد المصطفى وقال لى مرة إذا كان اتساع المسجد سبعة عشر متراً تقريباً ألا يكفى فقلت له يكفى يا سيدى . فلما رأى حضرة البك منى هذه الدهشة ومقابلتى له على هذا الخبر بعدم السرور عاتبنى على ذلك فقلت له إن عندى إشارة بأنه إذا شرع سيدى فى عمل المسجد يكون دليلا على قرب انتقاله فتعجب . والحقيقة أنه فى هذا العام كان يودعنا فى حفلاته بطريق الاشارة فكنا اذا اجتمعنا به يذكرنا بفضل الله على هذا الاجتماع ويطلب منه كثيراً قبول أعمالنا وغفران الذنوب .

ولقد كنا على محطة كفر الدوار فى آخر شعبان سنة ١٣٣٨ وهو مسافر الى الزقازيق فى آخر السياحة فكان ينظر الى أتباعه الذين قد اجتمعوا لتوديعه وكثير ما هم وكان يقف لهم ويودعهم بخلاف عاداته لأنه هذه المرة قام فى القطار الذي يقله ونظر لهم من نافذة العربة وصار يحييهم تحية الوداع ويقول لهم استودعكم الله غفر الله لنا ذنوبنا جميعاً فكان هذا داعياً كبيراً لإخواننا للتفكر واشتد تعلقهم به جداً . وفى آخر رمضان ذهبت لزيارته حسب عادتى فوجدت لديه جملة من إخواننا أذكر منهم حضرة الشيخ عبد الرحمن الغوابى المدرس بالمدارس الثانوية وشقيقه السيد عبد العزيز افندى الغوابى الموظف بوزارة الزراعة والسيد امام افندى ابراهيم الباشمهندس بمصلحة المساحة والشيخ محمد أمين عليوة وآخرين . وبعد تناول الافطار مع حضرته كعادته لأنه كان يفطر مع الناس الكثيرة العدد الذين كانوا يحضرون لزيارته فى شهر رمضان دائما وبعد صلاة المغرب قال . الله . ما أحسن هذا الاجتماع

ان هذا الاجتماع كله لله ولم يقصد به إلى الحب فى الله والعمل لله فكله إخلاص والله كريم يغفر الذنوب جميعا إنه يغفر ذنوبنا ولا يخيب رجاءنا ويدخلنا الجنة فاستبشرنا وكانت ساعة ما أحلاها وقام من وقته يسلم علينا ويدعو لنا رضى الله عنه ودخل البيت فلم يخرج حتى جاء العيد فذهبنا اليه لزيارته حسب العادة لأننا كنا نذهب فى أيام الأعياد فلا نجد عيداً لنا غير لقائه . ففى هذاالعيد (عيد رمضان ١٣٣٨ هجرية) لم يخرج الينا وعلمنا أنه مريض فكادت القلوب تطير شوقاً اليه وكان البعض فى العادة يكتفى بحضوره للزيارة ويعود اذا وجد سيدى معتكفا فلا يكلفه المقابلة الا هذه المرة فكان كل الناس ينتظرون لقاءه ولا يرون العودة الا اذا نظروه فأذن لهم بزيارته فكنا نعوده فى بيته الخاص فى مكان نومه طائفة بعد طائفة يمرون عليه بدون إبطأ عنده كل واحد يقبل يده ويذهب وكان يدعو لكل شخص بما يناسبه وبما فى خاطره مع كثرة الناس واختلافهم ومع شدة تألمه

ومكثنا ثلاثة أيام ولا نجد إذنا بالسفر كالعادة ولولا كثرة الزائرين وضرورة تقيدهم بالأشغال ولزوم السفر اليها ما سافروا . وفى هذا الوقت أمر ببناء مقبرة له فى ضريح سيدى المبرز شوقا إلى مدة وجوده هناك أيام الجذب وفعلا قام حضرات أنجاله بالأمر وبنيت المقبرة حسب الطلب .

ولكن بعض أولاده كانوا يعلمون عزمه على المسجد فقالوا له ألا تسمح ببناء المسجد والضريح فيه حسبما سمعنا من قبل فأجاب فقالوا له إننا نريد أن يكون هذا السماح مشمولا بالتنفيذ كما عودتنا فى كل الأمور التى تريد من الله تنفيذها فقال لا بأس خذوا هذا أمرا سلطانيا لا بد من تنفيذه فقام حضرة نجله سيدى الشيخ ابراهيم لشراء قطعة أرض تجاور كفر النحال لهذا المشروع فكلما ذهب إلى جهة لا يتم فيها أمر لأنه ان تم الشراء يوجد بالملك قيد يمنع وقفه سواء كان دينا أو غيره الى ان أذن الله أن ينفذ رغبة سيدى فلم يتيسر الا فى الجهة التى كان يشير اليها

وتم شراء الأرض اللازمة وفيها بنى الضريح قبل المسجد وبعد ذلك اشتد الكرب فكانت تأخذه غشية بعد أخرى حتى فاضت روحه الشريفة فى عصر يوم الاثنين ١١ شوال سنة ١٣٣٨ هجرية الموافق ٢٩ يونيو سنة ١٩٢٠ وهو لا يغفل عن ذكر الله تعالى لأنه كان يلهج بذكر الاسم . الله . الله . الله . حتى قبض عليه رضى الله عنه وأرضاه وتغمده برحمته الواسعة وأفاض عليه من تجلياته الدائمة الى يوم القيامة .

ولما قبض رضى الله عنه كان لوقت غير متسع لدفنه فبقى تلك الليلة فى منزله والانوار الإلهية مضيئة على المكان الذى فيه والجلال مجسم عليه والقلوب ممتلئة دهشة حتى الصباح وفى صبيحة يوم الثلاثاء ١٣ منه تقاطرت الناس من كل فج فكانت قلوبهم على حالة واحدة إذا بحَثت فيها تجدها شديدة الانفطار تكاد تتقطع ولكن فى الوقت ذاته تجدها مندهشة كأنما هى فى انتظار خروجه حيا

كعادته وكأنها ممتلئة تجليات وأنوار تدهش القلب فتورثه ثباتا واطمئنانا لا يكيف حتى أن البعض منا كان ينكر قلبه فكان هذا لطفا من الله تعالى ولولا ذلك لشقت الثياب بل القلوب وقطعت الأحشاء ونسيت الناس مراقبة الله لشدة ما عندها من الحب ولكن ليظهر سر الله فى طريقه ظهر هذا اللطف . وفى الوقت المذكور حضر غسله الشريف حضرة نجله وخليفته شيخ الطريق من بعده سيدى الشيخ ابراهيم أبو خليل وطائفة من أتباعه . ومنهم حضرة الأستاذ الشيخ بسيونى عسل أحد علماء الأزهر الشريف وأحد خلفائه والشيخ محمد أمين عليوه زوج ابنته والشيخ عبد العزيز حسنين .

وبعد أن أتموا اللازم خرجوا به للاحتفال بجنازته فى الزقازيق كما ينبغى له واستعدوا لذلك فلم يشعروا إلا وقد ساقهم الى محل قبره الشريف بحيث أنهم كانوا لا يستطيعون أن يتحولوا الى غير ذلك وكان فى الحاضرين جم غفير من أتباعه الذين يريدون المسير بموكبه فى البلد فتقدم البعض وحمل النعش وأرادوا تحويله فلم يستطع وحلف أنه

كان يجد ضغطا قويا على يده حتى ذهب إلى القبر وهناك صلوا عليه فى محل مسجده ودفنوه فى قبره الطاهر رضى الله عنه . وكان المأتم أشبه بمولد كبير جدا جدا يقرأ فيه القرآن وتقام عند القبر الأذكار بدون انقطاع حتى كان يخيل للناس أن هذا موسم من المواسم التى كان يقيمها سيدى للعبادة . واستمر ذلك مدة كبيرة لا ينقطع حضورالذاكرين إلى يوم الأربعين .

ومن وقت انتقاله والعمل جار فى المسجد والضريح ولم يبق عن أتمامهما إلا القليل لغاية كتابة هذا الكتاب وهو مسجد فى غاية الرواء وقد تحقق كلام سيدى الأستاذ حيث كان فى المكان الذى يشير عليه من سنوات وجاء اتساعه نحو السبعة عشر مترا على غير قصد من واضع الرسم الأصلى . نسأل الله أن يتم هذا البناء الذى أسس على التقوى وأن يجعله عامرا بالعلم والعمل وذكر الله تعالى دائما وأن يجعله مهبطا للأنوار والأسرار وأن ينفع من أمته وجاوره بمدد صاحبه رضى الله عنه وأن يجعله بابا للفتوح إنه كريم وهاب

ذكرى إنتقال سيدى الأستاذ

وقد جعل سيدى الشيخ ابراهيم لتاريخ انتقال سيدى الأستاذ الأكبر ذكرى عامة سنوية تقام فيها شعائرالدين والذكر فيكون ذلك مولدا عاما كما تقام الموالد لغيره من الأولياء . وابتدأ هذا العام من يوم الجمعة ١١ شوال سنة ١٣٣٩ هجرية موافق ١٧ يونيو سنة ١٩٢١ ميلادية و١٠ بؤونه سنة ١٦٣٧ قبطية وانتهاؤه يوم الجمعة ١٨ شوال وسيستمر كل عام إن شاء الله يقام فى الميعاد المذكور بحساب السنة الشمسية أى فى أواخر بؤونة ليكون فى أوائل الصيف حيث يكون مناسبا لحالة الجو ويبدأ فيه بيوم الجمعة وينتهى بيوم الخميس ليلة الجمعة الثانية ليوافق ليلة حضرة الذكر التى تعمل له أدامه الله وجعله مولدا مباركا تنتفع ببركاته الناس وأن يجعله دائما عامرا بذكر الله

الخالص لوجهه الكريم وأن يديم هذا البيت عامرا إلى يوم الجمعة

أولاده وبضعته

وقد انتقل سيدى الأكبر عن أولاده الأقمار السادة الأخيار سلالة البضعة الطاهرة هم سيدى الشيخ ابراهيم أبو خليل شيخ الطريقة الآن خليفة والدهوسيدى الشيخ محمد محمد خليل الكبير شقيق سيدى الشيخ ابراهيموسيدى الشيخ محمد محمد خليل الصغير وسيدى الشيخ السيد محمد خليل . وسيدى الشيخ رجب وعن ست بنات [١] وأربع زوجات

[١] ـ بناته هن السيدة آمنة المتزوجة بالشيخ عبد العزيز حسنين التاجر بكفر النحال ومن أعز أتباع سيدى الاستاذ

وتـــــوفى فـــــى حياتـــــه نجلـــــه المرحـــــوم الشـــــيخ محمـــــد خليـــــل المدفون فى مقبرة الشيخ المبرز بكفر النحال وكان من كبار الأولياء أصحاب الكرامات الظـاهرة وكـان ممـدودا بإمـدادت عظيمـة وكـان لـه دلال علـى والـده . فاضـت روحـه بين يدى والده فاحتسبه وودعه وقام يصلى.

وتـــــوفى فـــــى حياتـــــه أيضـــــا الســـــيدة زينـــــب وكانـــــت متزوجة بالشيخ محمد أمين عليوه فاضت روحها فى بيت والدها وكان غائبا بالسياحة فاستدعوه منها وهو يدعو الى الله تعالى ليحضر المأتم فحضره ولكنه كان مشغولا بالله سبحانه وتعالى

والســـــيدة صـــــالحة المتزوجـــــة بالشـــــيخ عبـــــد الله ابـــــن أخـــــت ســـــيدى الأساذوالســـــيدة نـــــور المتزوجـــــة بحضـــــرة محمـــــد أفنـــــدى عبـــــاس فهـــــيم مـــــدير التعلـــــيم بمديريـــــة البحيـــــرة والســـــيدة انصـــــاف المتزوجـــــة بحضـــــرة إمـــــام أفنـــــدى ابـــــراهيم الباشمهندس بديوان المساحة والسيدة إكرام الصغيرة والسيدة بثينة الصغيرة

وتوفيت فى حياته زوجته الأولى والدة سيدى الشيخ ابراهيم وسيدى الشيخ محمد وسيدى المرحوم الشيخ خليل . والسيدة صالحة والسيدة آمنة وكانت هذه الزوجة من الصالحات وكانت تذكر الله كثيرا وقد أخبرنا سيدى الأستاذ أنه رأى ليلة القدر مرارا فكان يفوض الأمر الى الله تعالى ولا يدعو وكان يوقظها لتدعو الله تعالى بما تشاء فكانت تدعو بالقبول ولطريقه بالستر والانتشار والفتح على أتباعه . وكان ذلك دعاءها فى كل مرة ولا تطلب شيئا وقد حقق الله هذه الدعوة . نسأل الله أن يفتح علينا فتوح العارفين بالله وأن يجعلنا من أهل طاعته ورضائه فى الدنيا والآخرة وأن يستر طريقنا ويجعله طريق الفتح والمحبة والعمل لله والقبول الى يوم القيامة

تولية نجله سيدى الشيخ ابراهيم شيخا للطريقة بعد والده

فارقنا رضى الله عنه من دار الدنيا الى دار الآخرة ولكنه لم يفارقنا بروحه ولم تنقطع أعماله فقد ترك فينا

ذكر الله تعالى واستخلف علينا فيه نجله الأستاذ الفاضل صاحب المدد العظيم . والسر الكبير . والروح العالية والقلب الطاهر التقى . سيدى (الشيخ ابراهيم أبو خليل) أكبر أنجاله . ووارث حاله . رضى الله عنه

فإننا سمعنا أن سيدى الأستاذ رضى الله عنه قال فى زمن جذبه (الحمد لله الذى جعل خليفتى من بعدى ولدى ابراهيم) وقد حقق الله ذلك . فإنه بعد انتقال سيدى وعودة المشيعين لجنازته كان قد عمل سرادق كبيرا جدا فى مكان فسيح بين بيته وقبره لاستقبال الناس الذين يأتون للعزاء وكانوا يأتون أفواجا أفواجا من كل جهة ومكان وقاموا كلهم وجددوا العهد على يد سيدى الشيخ ابراهيم حيث اختاروه أن يكون شيخا للطريق بعد والده . وكان فى مقدمتهم الأستاذ بسيونى عسل من أفاضل علماء الأزهر وغيره من العلماء والوجوه وكل خلفاء سيدى من أقاصى البلاد وأدناها . واستمر الأمر على ذلك واستقر على هذا الحال . أدامه الله وأحياه حياة طيبة فى

الدين والدنيا والآخرة ونفع به المسلمين

أما هو فإنه كان فى زمن والده عاكفا على العبادة له سمت جميل وهدى صالح ساكن فى نفسه . مفكر فى ربه مشغول بحاله . لا يلتفت إلى الناس . حفظ القرآن فى صغره وأجاد قراءته . وتفقه على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه . وأخذ العهد على سيدى الشيخ شناوى يوسف شيخ والده المتقدم ذكره . وبعد انتقاله جدد على والده صاحب السيرة رضى الله عنهما . واستمد من روحه وسلك مسلكه واعتكف على عبادة الله وكان لا يجتمع بالناس إلا لضرورة وكان يرافق والده فى بعض سياحاته على أنه كان يتجر فى زمن والده . وفى السنين الأخيرة امتنع عن معاطاة التجارة قطعا فسألته وقت ذاك عن السبب . فقال لقد اختلط الحلال بالحرام وأصبحنا لا نفلح فى التجارة التى على هذا الحال لأننا إن اتبعنا الشرع فى تجارتنا لا يمكننا مجاراة الذين يخالفون الشرع فيها وتبور تجارتنا الدنيوية ونحن لا نقصد فيها إلا التجارة الأخروية التى لن تبور

وبعد انتقال سيدى الاستاذ سار على قدمه وعامل الناس معاملة الاخلاص والحب لله وعطف على الصغير والكبير وأنزلهم منازلهم فأمه الناس وتعلقت به القلوب وزاد حبه فيها وسارت إليه الناس من كل فج وانتشر الطريق على يديه انتشارا غريبا . ولم يزل يتجدد البرهان . وتكثر الاتباع فى كل مكان . واتخذوا هذا الطريق منهاجا . ودخلوا فيه أفواجا . ودعته الناس إلى البلاد فقام اليها وزاد ائتلاف القلوب وفتح الله القلوب المقفلة على يديه فى بلاد كثيرة غير التى كان يذهب اليها والده رضى الله عنهما وأقبلت الناس على الطاعة إيما إقبال على يده . ولا زالت الطريق به تزداد وتزهو وتزهر والإخوان يكثرون جدا ويتآلفون ويتعاونون على الذكر والتقوى والمحبة فسبحان مؤلف القلوب القائل فى كتابه العزيز لنبيه الكريم (لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم)

وسيدى الشيخ ابراهيم هذا من أرباب الأحوال له

سر عظيم لا يخشى فالله لومة لائم ولا يقول إلا حقا ولا يصاحب أحدا إلا فى الله ولاينتصر لذوى الغايات ولو كان أقرب الناس إليه . ولقد كان يذكر لى كرامة من كرامات والده فإذا هى كرامة له أيضا . ذلك أنه ذهب الى بيت تعود الذهاب إليه وكان يقرأ فيه ما تيسر من القرآن فوجد فيه مريضا فأشفق عليه ومال قلبه إلى أن يتحمل المرض عنه فلم يقم من عنده الا وقد تحمل المرض وطاب المريض فقام متألما . وقال وزاد المرض واشتد حتى لم أعد أطيقه . قال فما أشعر وقد حضر والدى إلى وقال يابنى مالك ولهذا أترك الأمراض لمن يتحملها إلا ترانى أشرب حصير اللبن كثيرا من نادى الأمين قال ولم يقم من عندى إلا وقد خفف المرض فعلمت أن الحصير إنما هو لتبريد حرارة المرض فى البطن ونادى الأمين هذا يباع عنده اللبن بأنواعه ولقد كان يقرأ القرآن فى محفل فلما جاء الى قوله تعالى (وحنانا من لدنا) أخذه الوجد والحال وصار يقول وحنانا . وقام من المجلس ولم يمكنه إتمام القراءة ولا يمكننى أن أذكر عن حضرته شيئا غير هذا لأنه لم

يسمح لى بذلك والحقيقة أنه بحر عجاج وأنواره ساطعة فهو شمس الطريقة المشرقة ومصدر تجليات الحق عليها وهو المنظور اليه من الله سبحانه وتعالى فيها فهو نبراس الهدى وميزاب الأمداد وارث حال أبيه لا يسامح فى حقوق الله باطنه أو ظاهره وهو لا يغضب الا لله وما غضب على إنسان وأفلح بعدها ورحم الله امرءوا عرف قدره فحفظ قلبه معه غائبا وحاضرا وعامل الله معه كما يدعوا اليه ودام معه على رضاء منه وهو ولله الحمد طيب السريرة قوى الهمة فى الله تدر ببركته الخيرات .
وتقضى به الحاجات . كله أدب فى أدب لأنه ذهب أصله
من ذهب . والأصل عريق والولد سر أبيه
نسأل الله أن ينفعنا به وأن يجعله راضيا عنا دائما وأن
يمدنا بمدده ومدد أبيه [١] وأن ينفع به الإسلام والمسلمين وأن
يزيد به النفع إلى يوم الدين وأن يغفر لنا ولوالدينا ولماشيخنا وأن يجعلنا من أتباعهم الى
يوم الدين آمين

[١] ـ المدد هو الزيادة والغرض أن يمدنا الله سبحانه وتعالى بالمدد الذى يمده به من المدد الذى يمد به النبى صلى الله عليه وسلم وهو زيادة العلم والمعرفة بالله سبحانه وتعالى

كلمة ختامية

لقد من الله علينا بجمع هذه السيرة المباركة ذكرت فيها بعض مناقب سيدى الأستاذ وسيرته باختصار وبينت فيها (آداب الطريق) وسلكت فى ذكرها ما رأيناه من سيدنا الأستاذ ومن خواص أتباعه الذين كانوا يلازمونه وما هى الا آداب السادة الصوفية رضى الله عنهم فلقد راجعت كتبهم ووقفت منها على أحوالهم فوجدت أتباع سيدى المذكورين قد شربوا عنها أعزب المناهل وسقوا من أغدق الأنهار وساروا على أقوم طريق من أقرب مسلك . وقد ذكرت هاته الأداب والأحوال والمقامات وغيرها على هذا الأسلوب المار كما رأيته منهم ورتبته على هذا النسق ليأخذ السالك ومن يريد السير الى الله تعالىأصفى الأقسام ويداوم عليه ويحاسب نفسه على ما تردد

الأناس فلا تدع مقادر نفس تمر فى غير الإقبال على ربه وما يرضيه . فقد قالت السيدة عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (يذكر الله على كل أحيائه) وكان القطب الرفاعى رضى الله عنه يقول (من لم يحاسب نفسه على كل نفس ويتهمها فى جميع أحوالها لا يكتب عندنا فى ديوان الرجال وقال بعضهم من أقبل على الله سبعين عاما وأدبر عنه نفسا واحدا كان مافاته أكثر مما ناله لأن كل نفس فيه مدد الأنفاس السابقة فمن ضيع نفسا فاته مدد النفس الجديد ومدد الأنفاس السابقة فحرم الرأى السديد هذا وقد تحاشيت أن أذكر فى هذه الآداب صيغ الأمر التى تقال فى مثل هذه الابواب لست على شئ وليس لى شئ وليس العمل بالكلام . إنما هو توفيق وإلهام (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت) . وإنما نقلت

أفعالهم وأعمالهم عسى أن تنفع الذكرى أو تكون سببا للهداية والاقتداء بتوفيق من رب القلوب . وهى آداب عامة لكل سالك من أى طريق كان فإنما هى أخلاق كريمة تهذب النفس وتصقل القلب أصلها من السنه الشريفة النبوية ومن الشرع الشريف جعلنا الله من خير المتخلقين بها العالمين عليها ومن خير المقتدين بسيد المرسلين وقدبينت فى أذكار الطريق ومقامات السالكين ودرجات الذاكرين ما يقبله العقل ويتمشى مع الشرع مبتعدا عن كل ما يذكر من غوامض المشاهدات ومباحث التوحيد ومقامات الفناء وسر الايجاد ورؤية المعنى حسا وغير ذلك مما عفه أرباب الأحوال من المشاهدات الروحية وذوق الروح لحالات التوحيد . ومكاشفات أهل الولاية فإن ذلك يعرفه أهل الذكر الذين سبقت لهم من الله الحسنى . ومن أراد الزيادة فعليه بأهل الذكر ليأخذ من قلوبهم فقد قال سادتنا الصوفية ان هؤلاء يجب السعى لهم والسفر اليهم ومصاحبتهم والتخلق بأخلاقهم

والأخذ عنهم وقد قال تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ومن أراد المتاب فعليه أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه ويتوجه بقلبه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقد قال الله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) ومن لم يجئ إلى النبى صلى الله عليه وسلم بذاته فليجئه بروحه أو يجئ بالداعى الى دينه ليستغفر له فان باب التوبة مفتوح واستغفار الرسول مقبول جعله الله واسطتنا العظمى فى الدنيا والآخرة.

وفى الختام أدعو بهذا الدعاء الذى كان يدعو به سيدى الأستاذ الاكبر رضى الله عنه فى الغالب عقب الصلاة وعقب تلقين العهد وهو :

(اللهم بجاه نبيك المصطفى . وحبيبك المرتضى . وأمينك على وحى السماء . أن تغفر ذنوبنا . وتستر عيوبنا وتكتب لنا عندك براءة وعتقا من النار . وأمنا من العذاب . وجوازا على الصراط . وطريقا الى الجنة . وعاقبة الى الخير . اللهم

توفنـــا يـــا آلهـــى بكرمـــك مســـلمين مـــؤمنين موحـــدين وألحقنـــا بالصالحين آمين

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

قال مؤلفه

فرغـــت مـــن اتمامـــه عصـــر يـــوم الأربعـــاء ٢٩ شـــوال ســـنة ١٣٣٩ هجريـــة وأول أبيـــب ســـنة ١٦٣٧ قبطيـــة ، ٦ يوليـــوا ســـنة ١٩٢١ ميلاديـــة .

تقاريظ الكتاب

ولما اطلع حضرة الأستاذ الفاضل . والعلامة الكامل . قدوة الفضلاء . وشيخ العلماء . صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ (عبد الرحمن الخضرى) شيخ العلماء بالمعهد الدمياطى بدمياط حفظه الله قال ما يأتى

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد ولك الشكر غرست أشجار الحكمة فى قلوب العارفين . فأطلعت ثمرات الاهداء فى صدور المسترشدين . تحت اشراف سيد المرسلين . سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين . والتابعين والأولياء والصالحين . ومن انتمى اليهم وانتسب . وتمسك بأذيالهم وسار بسيرهم فاقترب . صلاة وسلاما دائمين الى يوم الدين .

(وبعد) فأن حضرة الأستاذ الفاضل . والعلم المفرد الكامل . زهرة سيدنا ومولانا خاتمة المحققين . وحجة المناظرين . شافعى الزمان . والمرجع اذا دجت مشكلة وغابت عن العيان . ذلك العباب فلا تكدروه الدلاء والسحاب ولكن تتقاصر عن فيضه الأنواء وكان من العلوم بحيث يقضى * له من كل علم بالجميع السالك سبيل الأقدمين . والفائز بالسبق فى مضمار اللاحقين . ذو الفتح الرحمانى . شيخنا وأستاذنا الشيخ (احمد الحلوانى) طيب الله ثراه . وجعل الجنة متقلبه ومثواه . فأثمر رحمه الله تلك الزهرة اليانعة . والثمرة النافعة . ذات الفيض الدانى حضرة الأستاذ الشيخ (عبد السلام الحلوانى) أوقفنى حفظه الله على مؤلف له وسمه (بالسيرة الخليلية) يشتمل على سيرة الغوث الأكبر سيدنا الشيخ (محمد ابو خليل) وبيان وجوب الدعوة الى الله وأصول طريق السادة الصوفية وآدابهم وأخلاقهم فلما روضت فكرى فى رياضته الزاهرة وحدقت حدقتى فى

حدائقـــــه العـــــاطرة . وجدتـــــه كتابـــــا جلـــــيلا نافعـــــا للطـــــالبين الـــــراغبين فـــــى التخلـــــق بـــــأخلاق الســـــادة الصـــــوفية رضـــــى الله عـــــنهم أجمعين . محلى بسيرة الأستاذ الجليل . علم الهداية . وجبل العلم والولايـة . مربـى المريـدين . وناشـر سـنة سـيد المرسـلين . الغـوث الأكبر . والكنز الافخر . سيدنا ومولانا الشيخ (محمد أبى خليل) رحمه الله رحمـة واسـعة . راجيا منه سبحانه وتعالى أن ينفع به كما نفع بأصله . فهو مقتبس من نفحـات الأسـتاذ ولمحاته . وفائض من بحر لحظاتـه وتوجهاتـه . نفعنـى الله بهـا . وأدخلنـى تحـت عمومهـا . مصـليا ومسـلما علـى مـن بعثـه الله رحمة للعالمين . وهدى للمتقين . صلى الله عليه وسلم وعلـى آله وصحبه والتابعين الى يوم الدين

عبد الرحمن الخضرى

وقال حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير والعلم الشهير العلامة (الشيخ عبد الله دراز) وكيل مشيخة علماء الاسكندرية حفظه الله .

الحمد لله الذى شرح صدور أحبته بنور اليقين . وكشف عن أسرار العبودية لعباده المقربين . من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وصلاة وسلاما على شمس الوجود . ونعمة الله العظمى على كل موجود . سيدنا محمد وصحبه وآله وحزبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين

(أما بعد) فقد أسعدنى الحظ باطلاعى على نبذة من كتاب (السيرة الخليلية) تأليف الأخ الكامل (عبد السلام افندى الحلوانى) فرع دوحة المعارف الباسقة . وثمرة روضة الفضل المونقة . فألقيت هذه النبذة شذرة من شذرات آداب الطريقة . ودرجة من سلم الحقيقة . التى دعا اليها الشرع الشريف . ورغب فيها الدين

الحنيف . قد جمعت فى فصول كشفت عن الحسان القناع . وعقود من الدر نسقها بيد صناع ولقد كنت حريصا على استيعاب الكتاب والتعرض لأريج نفحاته فى كل باب لولا ما عاقنى من الشواغل . وأخذ بتلابيب نفسى من الحوائل . . نسأل الله تعالى أن ينفع بالمؤلف وتأليفه . كما نفع بأصله وتصانيقه . إنه لارب غيره . ولا مرجو الا خيره .

وكيل معهد اسكندرية

عبد الله دراز

وقال حضرة الأستاذ التقى . القدوة النقى الرضى . للعلامة الشيخ (محمد تاج الدين) أحد علماء معهد الاسكندرية وعضو ادارتها . أحياه الله حياة طيبة فى الدين والدنيا والآخرة

(بسم الله الرحمن الرحيم) . الحمد لله الهادى الى الصراط المستقيم . والصلاة والسلام على من أرسل بالطريق القويم والخير العميم . سيدنا محمد المنعوت بقوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) وعلى آله وصحبه الذين بذلوا فى سبيل الله أرواحهم وأموالهم . وكل داع الى الله راعىعهدهم وسلك سبيلهم . ممن أمرنا تعالى بإتباعهم . والتمسك بأذيالهم .والتقرب منهم بقوله جل شأنه (وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم)

(وبعد) فقد اطلعت على هذه (السيرة الخليلية) فإذا هى برهان ساطع . على فضل مؤلفها وغزارة مادته

ودليل لامع . على علو كعبه . ورفعة مكانته . أدام الله النفع به كما نفع بسلفيه الأمجدين . القمرين الأنورين . والده علامه زمانه . وشيخه صاحب هذه السيرة قطب أوانه . بما للأول من واسع المعارف وساطع المعلومات . وجليل التأليف وجزيل المصنفات . وما للثانى من عظيم المجاهدات والهدايات وعميم الارشادات . أمدنا الله بأمداداتهم . وأعاد علينا من بركاتهم . وجمعنا بهم فى أرفع الدرجات . من فسيح الجنات . وقد أمد اليراع من هذه الامدادات . فامتلأ سرورا . وفاض حبوراً . ثم انبرى وجرى بهذه الابيات

ياسيرة المولى الجليل قطب الأنام أبى خليل
أسفرت عن طرق الهدى والفضل والفيض الجزيل
من كل باهر حكمة بثبوتها سطع الدليل
يامن يروم شريعة وحقيقة تشفى الغليل
لاز م لساحة طرسها وفناء ذا الروض الظليل
تغنم لذيذ قطوفها وحلاوة الذوق العسيل

ممن تعهد غرسها برحيق عذب السلسبيل
(عبد السلام) مجيدها وطبيب ذا القلب العليل
دامت مشارق فضله تهدى الى خير السبيل

كتبه
محمد تاج الدين
مدرس بمعهد اسكندرية

ولما اطلع حضرة الأستاذ صاحب الفضيلة العلامة الشهير التقى النقى الشيخ (محمد على خلف الحسينى) الشهير بالحداد من كبار علماء الازهر الشريف حرسه الله وأدامه ونفع به قال ما يأتى

(بسم الله الرحمن الرحيم). أحمدك يا من أسبغت على عبادك النعم ظاهرة وباطنة . وأكملت لمن هديت الدين فسلك الطريق الآمنة . وأصلى وأسلم على سيدنا محمد منبع العلوم وكنز الفواضل والفضائل ومظهر الأنوار ومعدن الاسرار ومصدر أشرف الشمائل وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى وأتباعه وتابعيهم

ومن بهم اقتدى (وبعد) فقد اطلعت على كتاب (السيرة الخليلية) المطرز ببيان أصول طريق السادة الصوفية . لواضعه الأستاذ المرشد الربانى . السيد (عبد السلام افندى الحلوانى) فاذا هو قد حوى مع الايضاح رقيق المبانى . وجمع مع الايجاز دقيق المعانى . فأتى على أكمل نظم وأجمل صورة مرضية . خصوصا بما اشتمل عليه من آيات الكتاب والاحاديث النبوية وله القدر فى اقتصاره على ذكر النذر القليل من مشهور كرامات قدوتنا المرحوم (الحاج محمد أبى خليل) نفعنا الله ببركاته . وأحلنا معه فسيح جناته . وجزى الله المؤلف الحسنى وزيادة . وختم لنا وإياه بخاتمة السعادة ،

محمد على خلف الحسينى

الشهير بالحداد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أحمـــدك يـــا مـــن فتحـــت بالخليـــل قلوبـــاً غلفـــا. ومنحـــت بالهدايـــة أهـــل العناية وكسوتهم حناناً وعطفا . أشهد أن لا إله الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله رحمة للعالمين ولطفا . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه عدد حروف القرآن حرفاً حرفاً . وارض اللهم عن شيخنا أبى خليل الذى نظم أتباعه فـــى ميـــادين الجهـــاد صـــفاً صـــفا .. وعـــن نجلـــه الـــذى جمـــع القلـــوب ونشـــر عليها من صافى مكارم أخلاقه عرفاً . وأباحها من واسع مدده غرفاً . وسقاها من فيض بحر وده غرقاً (أما بعد) فما كل مؤلف يؤلف . ولا كل كلام يقال يعرف . ان هى الا هبات إلاهيـــة يجعـــل مصـــدرها مـــن يشـــاء مـــن عبـــاده ونتـــائج صـــدق واخلاص تستخرج من مقدمات يقينية مغرسها أهل العناية من عباده (يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) ونفحات خليلية يتلقاها أهل العفاف . الذين يعاملون أنفسهم بالانصاف . ويأخذون بيد من يريد الأسعاف . وأن ينظم فى سلك ذوى الائـــــــــــتلاف مـــــــــــن تلـــــــــــك الهبـــــــــــات

الإلاهية . ومن هذه النتائج والنفحات الخليلية . مؤلف جادت به يد فضائل من بمكارم أخلاقه وسع القاصى والدانى . سيدى وسندى القدوة الكامل والعالم العامل مولانا (السيد عبد السلام الحلوانى) سرد فيه ذرة من سيرة الأستاذ الاكبر والعلم الأزهر . قدوتنا الى الله تعالى سيدى (الحاج محمد أبى خليل) متوخياً فيه ما شاهده بالعيان . وأثبت عنده بساطع البرهان . أو بلغه عن مصدر ثقة من الاخوان . مستدلا على ما أثبته بكتاب أو سنة . محلياً جيده بقلائد الادلة القطعية . ان عبر فمحبوكة بنور الحكمة عبارته ، وان أشار فبسحر البيان سحرت ألباب العارفين اشارته . طبيعى الترتيب ونظامه عجيب . فهو لكل فضل جامع لا يمل منه قارئ ولا سامع . لله دره من مؤلف غرس فى كتابه هذا كل فضيلة . وأنبته نباتاً حسنا فى قلوب مطهرة شريفة . فطوبى لمن تلقاه بقلب سليم . ودفعه اليه عامل الاخلاص كأنه ولى حميم . والله اسأل أن ينفعنا بمدد النبى صلى الله عليه وسلم وحبه ومدد شيخنا وكرامة مؤلفه آمين ،

محمد حواس – أحد العلماء

ومدرس بمسجد ريحان بالمنصورة

فهرس الكتاب

رقم الصفحة	العنوان
٢	خطبة الكتاب
٣	مقدمة
٦	بعثة الرسل ودعوتهم
٧	ظهور سيدناالنبى صلى الله عليه وسلم
٨	دعوة الخلفاء الراشدين
١١	ظهور السادة الصوفية
١٧	الأصل فى أخذ العهود
٢٥	**الباب الأول**
٢٥	ظهور الأستاذ الشيخ أبو خليل
٢٧	ترجمة حياته
٢٨	خلوته
٣٠	ظهور دعوته
٣٢	أحوال الأستاذ وأخلاقه
٣٤	أدبه مع أتباعه وأصحابه
٣٦	سياحته وأسرار الطريق فيها
٥٧	إحتفاله بمولد المصطفى صلى الله عليه وسلم
٦٠	الخلفاء وآدبهم
٦٤	آداب المريدين مع الأستاذ
٦٨	آداب المريد فى نفسه
	(ترك المنهيات)
٧٠	الغيبة
٧٠	مجالسة النساء
٧١	الكذب
٧١	**الحسد**
٧٢	**الحرص**
٧٢	**الكبر**
٧٣	**العجب**
رقم الصفحة	**العنوان**

٧٣	آداب الإخوان وحقوق الصحبة
٨٥	كرامات الأستاذ الشيخ أبو خليل
	الباب الثانى
٩٢	سلسلة رجال الطريق
٩٤	أوراد الطريق (الذكر)
١٠٠	آيات الأمر بالذكر والأحاديث النبوية
١٠٣	فى التحذير
١٠٣	فى الذاكرين
١١١	الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وفضائلها
١١٥	صيغة الإستغفار وفضله
١٢٠	كيفية الذكر
١٢١	مجالس الذكر
١٢٧	أسرار الذكر ومقامات السالكين
١٢٧	جهاد النفس
١٣٠	الحب
١٣١	الإخلاص
١٣٣	المرافبة
١٣٤	الخشوع
١٣٥	الحياء
١٣٦	الخوف والرجاء
١٣٧	التقوى
١٣٩	الصبر
١٤٢	الزهد
١٤٤	التوكل
١٤٦	الشكر
١٤٨	تنبيه
١٤٩	ما أورده ابن خلدون فى مقدمنه على علم التصوف
١٦٠	أحوال السالكين
رقم الصفحة	العنوان

١٦٣	حديث النفس والخواطر
١٦٦	حب الروح
١٦٧	العشق
١٦٩	الأونس
١٧٠	البسط
١٧١	القبض
١٧٢	التواجد والوجد
١٧٢	الجذب
١٧٥	السريانى
١٨١	ما أورده الأستاذ الدباغ فى السرياتى
١٨٧	درجات الأولياء وكراماتهم
١٩١	الفراسة
١٩٣	الإلهام
٢٥٨	الكشف والسمع والبصر
	الباب الثالث
٢١٠	إنتقال الأستاذ الشيخ أبو خليل
٢٢٠	مولد الأستاذ (ذكرى إنتقاله)
٢٢١	أولاده وبضعته
٢٢٢	تولية نجله الأستاذ الشيخ ابراهيم أبو خليل خليفة له
٢٢٩	كلمة ختامية
٢٣٤	تقاريظ الكتاب